

عُصَاةُ الشُّهَدَاءِ في ذكريات الوالد عن الجدِّ

رواية تاريخية عن سيرة العالم الشيخ :

فالح بن عثمان الصغير رحمه الله (١٢٨٧هـ - ١٣٥٩هـ)

العلمية والعملية وما يتعلق بها من أحداث وأماكن وأشخاص

رواها الشيخ : محمد بن فالح الصغير رحمه الله (١٣٤٣هـ - ١٤٢٩هـ)



كتبها وجمعها

د. صغير بن محمد الصغير

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود



دار الوفاق
للدراسات والنشر

عُصَارَةُ الشَّهَدِ

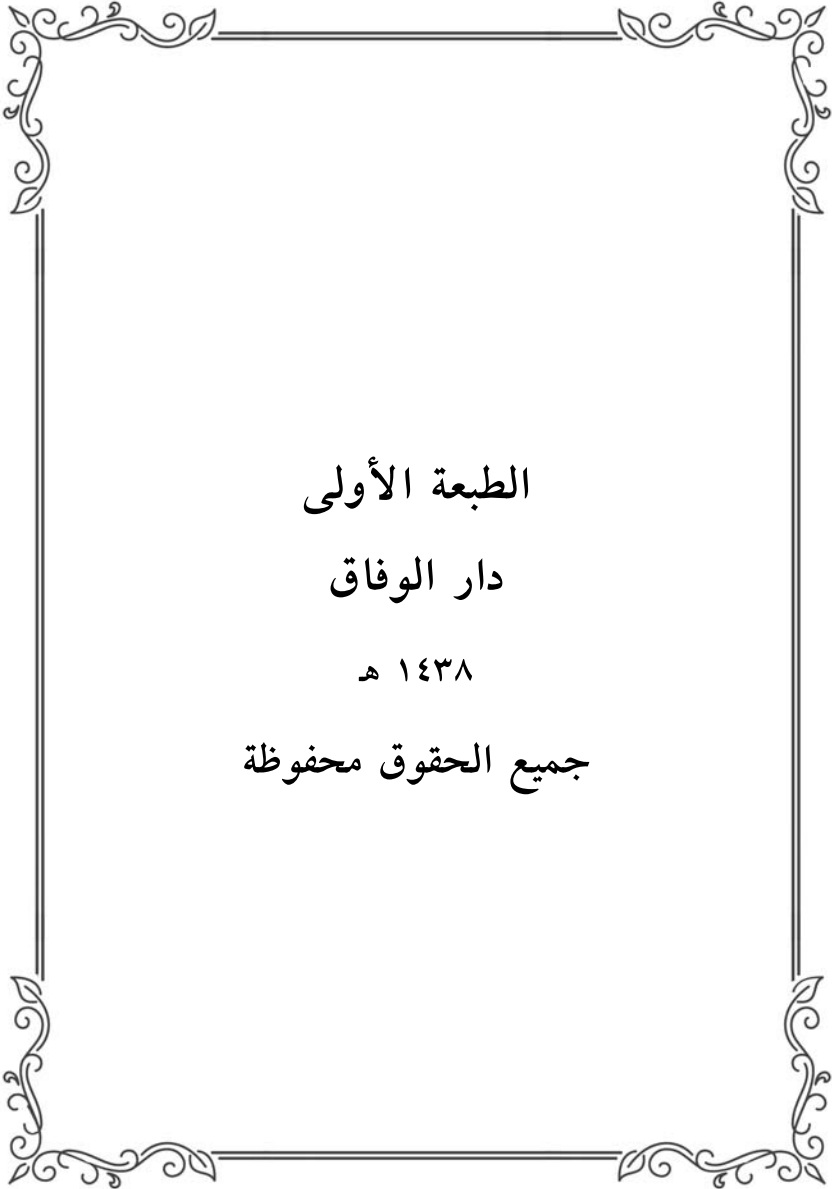
في ذكريات الوالد عن الجدِّ

رواية تاريخية عن سيرة العالم الشيخ:

فالح بن عثمان الصغير رَضِيَ اللهُ

(١٢٨٧هـ - ١٣٥٩هـ)





الطبعة الأولى

دار الوفاق

١٤٣٨ هـ

جميع الحقوق محفوظة



عُصَارَةُ الشَّهَدِ

فِي ذِكْرِ بَيْتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

رواية تاريخية عن سيرة العالم الشيخ:
فالح بن عثمان الصغير رحمته الله (١٢٨٧هـ - ١٣٥٩هـ)

العلمية والعملية

وما يتعلق بها من أحداث وأماكن وأشخاص

رواها الشيخ: محمد بن فالح الصغير رحمته الله

(١٣٤٣هـ - ١٤٢٩هـ)

كتبها وجمعها

د. صغير بن محمد بن فالح الصغير





دعاء

اللهم اجعل ثواب هذا العمل
للجد الشيخ فالح بن عثمان رَحِمَهُ اللهُ
وللوالد الشيخ محمد بن فالح رَحِمَهُ اللهُ
واعف عن التقصير والخلل
وارزقنا الإخلاص في القول والعمل
ابنكما
صغير





تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وبه أستعين و عليه أتوكل، ومنه أستمد العون والتوفيق، فسبحان من جعل الخلق بعضهم لبعض سخرياً.. وأصلي وأسلم على أعظم وأشرف خلق الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعه، صلاة وسلاماً تامين أكملين .. من عبدٍ ضعيف جعل المصطفى قدوته فقصر وأذنب ثم تاب ورجع، سائلاً خالقه أن يكون محشوراً في زمرة نبي الله ﷺ، وارداً من حوضه، مجاوراً له في مدينته في آخر عمره، ومجاوراً له في جنات الخلد، راضياً ومرضياً عنه ووالديه ووالديهم وزوجه وذريته وإخوانه وأخواته ومحبيه وأحبابه والمسلمين أجمعين آمين آمين . . .

وبعد/ فليست هذه الرواية رسالة أكاديمية ولا دراسةً حديثة ولا بحثاً علمياً ولا ترجمةً وثائقيةً ولا روايةً أدبية، إنما هي عُصارةٌ من حديثِ ذكريات، فحديثِ الذكريات المؤثرة معينٌ لا ينضب، يعيشها الإنسان بجوارحه، تُحَيِّمُ



عُصَارَةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ



٨

عليه إذا أسدل الليل ستاره، فيشخص بصره وتدمع عينه ..
فتارةً يحدث نفسه وتحدثه، ويمنيها وتمنيه، ﴿أَلَا بِذِكْرِ
اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].





حديث الذكريات..!

حديث الذكريات يشتد صحبه داخل النفس ، وترتج جوانحه ، وتهتز أركانه كلما مرَّ بمكان له فيه صولة وجولة ، أو سمع حديثاً ضربَ على وتره ، أو رأى مشهداً تداعت عاطفته معه ، أو قرأ سطراً محفوراً في مجده ..

حديث الذكريات أملٌ ليس بالألم .. إسفارٌ بعد ظلمة .. هو فجرٌ صادق ليس بكاذب .. ليس متعة فحسب بل سبيلاً لها .. يخفف الحمل الثقيل ، ويعين على نائبات الدهور .. حديث الذكريات إسعاد بعد شقوة غلبت ، وإكبار لذوي النفوس الكبيرة .. ودعاءً يُخصُّ به ذوي الحقوق الضائعة ، ومواساةً لذوي الاحتياج الصُّبر ، وعذوبةً لذوي البحور العُمر ..





اخرج إني لك من الناصحين..

لست أدري الهروب حلاً أم لا؟

ربما في وقت دون وقت وظرف دون ظرف، كما
حصل لموسى عليه السلام وتهيئته لحمل الرسالة... ..

خرج محمد^(١) من الحائر جنوب الرياض خائفاً
يتربق، خرج من بين قبيلته، خرج وكأني به والألم يعصر
قلبه، ودمعه مختلط مع غبار الصحراء على وجنتيه
الشاحبتين! ..

خرج مستشعراً وَجَد أبويه .. صورةً بساتين وأنعام
قبيلته لا تفارق مخيلته، بل حديث رفقائه ... خلانه ..
همساتهم .. لعب الأطفال .. شريط أفلام بين عينيه
وأذنيه .. شدَّ رحله بين الديار يتأمل المكان وأهل الزمان ..
يعمل هنا فلاحاً وهناك راعياً .. وفي الأخرى تاجراً ..
يضاحك هذا ويمازح ذا، ويشير على آخر .. ويناصح

(١) محمد هذا: هو جد أسرة ال صغير من النوفيل من بني عمرو من سبيع..
وهو من أجداد الشيخ فالح بن عثمان بن صغير بن عثمان بن محمد ..





اخرج إني لك من الناصحين..

مخطئاً ويعلم جاهلاً .. ابتسامة تعلو محياه، وداخله سر
دفين ربما مات معه غفر الله له ..





الزلفي بلد القرار ..

استقر بمحمد المقام في بلد عجيب ربيعه ربيعٌ ساحر ..
 .. وصحراؤه مقفرةٌ صيفاً، وبرده يلدغ شتاءً .. أهله جمعوا
 بين الشجاعة والكرم، يحفظون حق الجوار .. الغريب
 بينهم كأنه منهم . محمد لم يكن يعرف أن تلك البلدة
 منذ عصور أنجبت رجالاً يُشَدُّ بهم الأزر وقت الحاجة ..
 جاورهم رجالٌ من خلّص العرب .. اكتسبوا وكسبوا خلالاً
 حميدة ربما أفسدها قلّةٌ من متأخريهم .. لم يكن يعرف
 محمد ذلك، بل اكتشفه وربما أدرك كيف أن العرق
 دسّاس؟ والبيئة تؤثر؟!، ولربما انتقلت في ذهنه صورة
 الحطيئة وقصته مع عمر رضي الله عنه .. إذ اشتهر شعره
 بالهجاء مقابل المال نظراً لشدة الفقر والعوز .. و أما
 الحطيئات الآخرون بعده تسلية وضحك .. حطيئة الأول
 أمر عمر رضي الله عنه بسجنه لكي يسلم الناس من شر لسانه
 وهجائه، و أما الحطيئات المتأخرون فعندهم الجزاء من
 جنس العمل .. تهجو .. عقوبتها تُهجي .. رحماء بينهم
 كما وصف ذلك أولهم .. ولا زالت صفة الرحمة عندهم .





ماذا أقول لأفراخ بني مرخ
 زُغب الحواصل لا ماءً ولا شجرُ
 ألقىت كاسبهم في قعرٍ مظلمة
 فا رحم عليك سلام الله يا عمرُ
 فسمع الأبيات عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتأثر بها وأطلقه
 وأجزل له عطاءً ..





مالك بن الريب وسمنان الزلفي ..

يُعتقد أنها أيضاً ديار مالك بن الريب التميمي رحمه الله عاش في الدولة الأموية وله قصيدة يتيمة قالها يرثي نفسه حال احتضاره ضمنها كثيراً من لواجع النفس، ولهيب الشوق إلى أهله ووطنه بعد أن ذهب غازياً في خراسان مع جيش سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله ورضي عن والده.

كما ضمنها جملةً من الأماكن التي يحن ويشتاق إليها كالغضا وعنيزة وبولان والرقمتين وغيرها ..

ومن هذه المواضع التي ذكرها موضع (السمينة) وهو أحد المواضع التي تقع بين البصرة ومكة على طريق الحجاج .. وهي كما يقول بعضهم سمنان التي في الزلفي ..

وَلَكِنْ بِأَكْنَافِ السُّمَيْنَةِ نَسْوَةٌ

عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الْمَعِيشَةُ مَا بِيَا

أعجب محمد بجمال ذلك البلد الذي يقبع بين جبال طويق ونفوذ الثويرات الذهبية .. وتلك الأودية التي من





مالك بن الريب وسمنان الزلفي

أجملها مرخ الذي يصب في روضة غنّاء تُدعى السبلة..
أحدهم مرة تذكره عندما شاهد نهر الراين في ألمانيا وسفوحه
الخضراء فأخبر صديقه فضحك، وكاد يسقط في قاع النهر
على بطنه من شدة الضحك، وقال تقارن ذا بذاك!!! قال
المغرم: هل رأيته وقت ذروته؟ قال: لا.. قال لا تلم مُغرم
بعشيقة.. لو سمعك أحد من عشاقه لهجاك بقصيدة تنافس
المطربون والمنشدون بإخراجها وبقيت تردد في تلك الشوارع
والمنتزهات إلى قيام الساعة!!..

أصدر محمد قراره بعد دراسةٍ وتأمليٍ على عدم مبارحة
المكان إذ التنقل بين البلدان آن أو انقطاعه.. فعقد
عقداً معنوياً مع أهل الزلفي الدم والهدم الهدم..





الزواج سكن ومودة وذرية ..

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١] .

أدرك محمد رحمه الله بفطرته السوية أن الاستقرار
النفسي والهدوء .. بل والتفكير الناضج والتفكير المنتج
إنما يكون بالزواج .. خليةً تشاطره الهم بل ولقمة العيش
.. خليةً تحمل ما يعجز عن حمله .. خليةً تكفف دمه
وتواسي جرحه الغائر .. عزم وهو صاحب العزيمة .. قويُّ
صاحب شكيمة .. كما ظهر ذلك في بعض ذريته من
بعده ..





ذرية محمد..

رزق ابناً أسماه عثمان ثم حفيداً صغيراً أسموه
 "صُغَيْرًا" لا يُعرف سر تسميته به إلى الآن.. أقرب
 التخمينات أنه ولد صغير الجسم فسمي بذلك.. وقيل على
 فارس سابق لعهدده!!..

لله أنت يا "صُغَيْر" ظننت نفسك وحيداً.. هل كنت
 تدرك حال ولادتك فضل الله فيما سيؤتيك من ذرية؟!
 بالطبع لا! بل حتى وأنت في العشرين والثلاثين بل وفي
 حال هرمك.. لا أدري هل أدركت ذلك أم لا!؟!..





الباقيات الصالحات ..

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَلَيْدَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ [الكهف: ٤٦]؛ إي والله الباقيات الصالحات خير عند ربك .. سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير .. الأعمال الصالحة خير .. والمال والبنون زينة، و وسيلةٌ للمحسن إلى ما هو خير عند ربك .. وإلا سيبقى المال وستبقى الذرية وبالاً وخسراناً ..

" صغيرٌ " رحمه الله هذا الشاب المبارك تسلسلت منه ذريةٌ مباركةٌ في ذلك البلد الذي اختاره والده .. ومن ولده عثمان سَمِيَّ الخليفة الراشد ذي النورين .. رضي الله عن عثمان وغفر الله لعثمان وعثمان .. ما ضر عثمان الأول ما فعل بعد اليوم .. وأرجو الله أن يغفر لعثمان الثاني والثالث .. فقد خرج من صلبهما من يُعَلِّمُ الناس السير على منهجه ﷺ قدوته عثمان بل و قدوته أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم .





إنه فالح بن عثمان ..

الشيخ العالم السلفي عقيدة ومنهجاً الحنبلي فقهاً
الزاهد فيما سوى الله، الحليم الشجاع الصابر تُشع نفسه
حكمة وحنكة .. شيخ عصره في بلده ومفتيها وقاضيها
وإمامها ومعلمها وخطيبها أبو عبد الله فالح بن عثمان بن
صغير بن عثمان بن محمد من (آل نافل) المدارية عشيرة
من عشائر الصعبة والصعبة من بني عمرو، وبنو عمرو أحد
بطني قبيلة سبيع المشهورة ..





سبيع الأصل والنخوة والشهامة ..

سبيع هو بن جعده بن عامر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعه بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهي قبيلة عدنانية.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]

"تعتبر قبيلة سبيع من القبائل التي اشتهرت بالنجدة والنخوة والشهامة والكثرة والقوة والشجاعة، كما اشتهرت بالطيب والكرم وحسن الجوار والعديد من الصفات الحسنة والخصال الحميدة المشهودة، كذلك اشتهرت القبيلة برجالها البارزين فمنهم مشائخ وأمراء، ومنهم قضاة وعلماء موثوقون، ومنهم فرسان وشعراء معروفون.





وقد عُرفت قبيلة سبيع على مسرح الأحداث منذ القدم فهم سلائل هذه القبيلة العامرية المعروفة والمشهورة منذ أمد طويل، وفي القرن الثاني عشر الهجري انحازت قبيلة سبيع إلى جانب الدولة السعودية واتبعت الدعوة الإصلاحية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهي من أوائل القبائل التي اتبعت هذه الدعوة السلفية وعملت جاهدة للنهوض بها والعمل من أجلها" (١)



(١) من كتاب سبيع الغلبا لخالد القريشي..





آخر العنقود طيب الثمرة.. ولادة فالح

في سنة ١٢٨٧ للهجرة. كانت تلك الشجرة المباركة
على موعد مع ضيف جديد نزل عليها هبةً من خالق
الأرض والسماء نير الوجه كريم المنظر..

فرح الأبوان بمولودهما وتفاءلا فيه خيراً، واتفقا على
تسميته فالحاً تيمناً بالفلاح والنجاح، وربما من فلاحه
الأرض التي تنبئ عن نشاط وحيوية وصبر وجلد وطيب
رزق ...





تقديس الفلاحة!!

كانوا رحمهم الله يُعلون شأن الفلاحة ولا غرو فلهم سبق في ذلك ..

مع اتفاقهم على أن العمل كله فاضل إذا كان مشروعاً. فمن السابقين من ذهب إلى أن أفضل المكاسب الزراعة، ومنهم من رأى أن أفضلها كسب اليد أي الصناعة، وذهب آخرون إلى تفضيل التجارة على غيرها، وفريق آخر رأى أن أفضل المكاسب على الإطلاق ما يكتسب من أموال الكفار المحاربين عن طريق الجهاد في سبيل الله.

قال الماوردي رحمته الله: أصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة، والأشبه بمذهب الشافعي أن أطيها التجارة وقال: والأرجح عندي أن أطيها الزراعة، لأنها أقرب إلى التوكل، قال النووي: والصواب أن أطي الكسب ما كان بعمل اليد، فإن كان زراعة فهو أطي الكسب لما يشمل عليه من كونه عمل اليد، ولما فيه من التوكل، ولما فيه من النفع العام للأدمي والدواب، ولأنه



عُصَارَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ



٢٤

لا بد فيه في العادة أن يؤكل منه بغير عوض.

وقال ابن حجر: وفوق ذلك من عمل اليد ما يكتسب من أموال الكفار بالجهاد وهو مكسب النبي ﷺ وأصحابه، وهو أشرف المكاسب لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى، وخذلان كلمة أعدائه والنفع الأخرى. قال: ومن لم يعمل بيده فالزراعة في حقه أفضل، ثم قال: والحق أن ذلك مختلف المراتب، وقد يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والعلم عند الله تعالى.

ولا ريب كما أخبر المصطفى ﷺ: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة". رواه البخاري..





نشأة فالج..

نشأ فالج صبياً مجتهداً حريصاً على الخير قائماً بحق والديه، وبالأخص والدته، يختلف كثيراً على جامع البلدة، إذ يجد هناك شيخاً وقوراً وقاضياً عدلاً وإماماً صاحب صوتٍ نديٍّ يُدعى الشيخ عبد الرزاق بن عبد الله المطوع ..





عبد الرزاق المطوع رحمه الله..

الشيخ عبد الرزاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الوداعين من قبيلة الدواسر، ولد في مدينة الشماسية من القصيم.. وقد تعلم هذا الشيخ الفاضل العابد الزاهد عبد الرزاق على يد الشيخ محمد بن سليم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي يُعد من علماء القصيم في وقته، وقد ولي الشيخ عبد الرزاق القضاء في الأحساء ثم تركها، وعاد إلى الشماسية ثم عين قاضياً على الزلفي، واستمر حتى عام ١٣٢٨ هـ، ولما كبر وضعف على القضاء ترك القضاء وتوفي بعدها بأعوام قليلة في مدينة الزلفي، ويُقدّر صاحب كتاب علماء آل سليم وأيضاً صاحب كتاب علماء وأعلام وأعيان الزلفي أنه عاش ما بين عامي ١٢٧٠ هـ و ١٣٣٠ هـ. ولكن زمن تقدير وفاته هنا فيه نظر حيث لدي وثيقة بتوقيعه رحمه الله عام ١٣٣٦ هـ، فيرجح أن تكون وفاته عام ١٣٤٠ هـ تقريباً.

سمع فالح منه وأتم حفظ القرآن على يديه وكان من أحب طلابه إليه..

وفي يوم من أيام الجوع وشظف العيش قرّر أخوا





فالح: محمد وراشد السفر في طلب المعيشة وألزما فالحاً بالسفر معهما إلى الكويت للعمل مع أنه كان صغيراً في السن .. !

وهنا وقفة!!.. وهي أن (الأخ مهما بلغ في العطف والحنان والدين فهو ليس كالوالد .. إذ حنان الأبوة لا يعدله شيء .. ومع ذلك فقد كان الأخوة في وقتهم من التكاتف الشيء العظيم!)..

سافر فالح وهو مغلوبٌ على أمره، ونفسه تتقطع في وداع جامعه وشيخه .. شدوّ الرحل وكأنك تنظر إلى مشهد النوق النجب لها جلبة وضجيج ..

وفي الطريق إلى الكويت وعندما هجعت القافلة .. حُبُّ العلم والعلماء، وتَدَكُّر الوالدة والبلدة لم يدع لفالح مجالاً للنوم .. فانسل من القافلة وحده بهدوء وتركها وعاد إلى الزلفي ماشياً .. ولك أن تتصور مسيرة يوم وليلة بلا زاد ولا راحلة مع صغر سن! يا تُرى ما الذي دفعه لذلك!!؟

دخل فالح المدينة على حين غفلة من أهلها .. فما شعرت الوالدة العطوف إلا وابنها يقبل رأسها الطاهر .. شَخْصَ بصرُها نحوه .. أطرق قليلاً ثم قال: عدتُ



عُصَارَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ



٢٨

وأنا بخير، و كلهم بخير . . . وإن أتى من خبر أو سؤال - يقصد أخويه - فأخبريهم أنني راحل . . . قالت الأم: إلى أين؟ قال إلى طلب العلم وسأعودك بين الفينة والأخرى . . . فقبل رأسها وانصرف ماشياً . . .

كان كثيراً ما يسمع شيخه يتحدث عن مشايخه في بريدة، فقرر الذهاب إليهم وإعلاء السند . . . كان بإمكانه فالح أن يذهب حين انسل من أخوته إلى بريدة مباشرة، لكنه يدرك وهو صغير أنّ أمه ربما تفجع به إذ قد يأتيها أحد الحمقى على حين غرة ويخبرها بهربه، فيصبح فؤادها فارغاً عليه، لكنه قال لها ليقطع الطريق على شياطين الجن وحمقى الإنس . . .





فالح في بريدة..

رحل الشاب مودعاً أهله وبلده وشيخه.. رحل إلى بريدة، تلك المدينة التي تقع غرب الزلفي بمسيرة يوم على هضبة واسعة تنحدر من الغرب إلى الشرق بمعدل بسيط، وهناك بعض المنخفضات التي تقع بين التلال والمرتفعات الرملية، وبعض تلك المنخفضات أراض زراعية خصبة جداً بسبب سهولة استخراج المياه من باطنها المغطى بطبقة من الصخر الكلسي والجبسي. أخرجت بريدة على عصورها علماء مبرزين يصعب حصرهم..





فالح و علماء بريدة آل سليم ..

"من أشهرهم علامة نجد،... الذي أطلقت عليه المشيخة وهو دون العشرين، الشيخ الذي سئل وأفتى وشيوخه شهود، بل أحال إليه والده بعض القضايا وهو دون الخامسة عشر فحكم فيها وأصاب... كان مرجع طلاب العلم بعد دروس العلماء، وتقريراتهم.. طلب العلم وارتحل لأجله، مر على الدولة السعودية في أحد عهودها... هو الشيخ العلامة: عمر ابن الشيخ العلامة محمد بن الشيخ عبد الله بن سليم ولد ١٢٩٩هـ وتوفي عام ١٣٦٢هـ رَحِمَهُ اللهُ.

أوصى الشيخُ عبدُ الله بن عبد اللطيف آل الشيخ لما كان مفتي السعودية الملك عبد العزيز به .. فكان إذا جمع الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ العلماء لبعض المهام... دعاه معه، وعمره آنذاك دون الثلاثين، فإذا حضر وقت الصلاة قدموه، وكان رئيس القضاة الشيخ عبد الله ابن بليهد يلقيه (إمام العلماء)... كان الملك عبد العزيز يستشيريه في تعيين القضاة في القصيم وغيرها. ذُكر عنه أنه لا يكاد يمشي أبدا





إلا وهو يقرأ القرآن.. الشيخ عمر ابن سليم ما من أحد كتب في التراجم للعلماء أو للزعماء، أو للمصلحين أو للقضاة إلا سيضطره الحديث عن هذا العالم العلم، ولذا تجد ترجمته في جميع كتب من ترجموا لمشاهير هذا العصر ككتاب (علماء آل سليم) لصالح العمري و(تذكرة أولي النهى والعرفان) للشيخ إبراهيم العبيد، وكتاب (تسهيل السابلة) للشيخ صالح العثيمين وجميع هؤلاء من مؤرخي بريدة وكتبهم مطبوعة، و(مشاهير علماء نجد) للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف الشيخ، و(علماء نجد) للشيخ البسام، و(الأعلام) للزركلي، وهي قليلة في حق هذا العلم قيل: يكفي فيه أنه رثاه الشيخ محمد ابن إبراهيم ولا يعلم أنه قال قصيدة رثائية في أحد العلماء سواه لتدرك مكانة الشيخ عمر ابن سليم، هذه إشارة فقط لهذا العلم الشامخ وما ترك أكثر بكثير مما ذكر.. ومن الجدير ذكره أن الشيخ عمر زميل وصديق، وفي نفس الوقت شيخ للشيخ فالح إذ تتلمذا على والده العلامة محمد بن الشيخ عبد الله بن سليم ودرسا أيضاً على الشيخ عبد الله بن عبداللطيف رحمهم الله جميعاً..



عُصَارَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ



٣٢

نعود إلى الشيخ فالح . . . وصل الشيخ فالح إلى بريدة بعدما ودع أمه وشيخه وبلده.. ولازم مشائخ آل سليم ومن أشهرهم والد الشيخ عمر الشيخ العلامة محمد بن الشيخ عبد الله بن سليم..قرأ عليه في فنون عدة واستفاد من تلك الأسرة المباركة..

سُنَيَاتِ بَرِيدَةَ الَّتِي قَضَاهَا شَيْخَنَا فَالْحَ فِيهَا كَانَتْ بَدَايَةَ تَرْسُخِ مَلِكْتِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَإِبْدَاعِهِ وَإِجَادَتِهِ وَحِفْظِهِ، وَدَائِمًا بَدَايَاتِ الطَّلَبِ هِيَ الْأَسَاسُ كَمَا الْبَيْتُ مَعْتَمِدٌ عَلَى أَسَاسَاتِهِ.. وَكَمَا الْقَصِيدَةُ عَلَى مَطْلَعِهَا.. وَكَمَا الْمَوْضُوعُ مِنْ عُنْوَانِهِ..





الشيخ فالح في المذنب..

أن تطلب العلم في زمننا هذا سهل ويسير مع تنوع مصادر المعرفة والتقنيات الحديثة، لكن ربما خدّرتنا الحضارة وأنهكتنا الذنوب وأقعدنا الترفيه.. لكن في زمن شيخنا يحتاج الأمر إلى صبر ومصابرة، ومفارقة للديار والخلان، سيما مع شظف العيش والفقر والجوع.. لذا وُصِف شيخنا من مشايخه بأنه الشيخ الصبور..

بعدهما أخذ شيخنا فالح العلم من علماء بريدة ونهل من مشاربهم، شدَّ رحله إلى مدينة المذنب من مدن القصيم..





المذنب..

المذنب هي الواجهة الجنوبية لمنطقة القصيم في وسط المملكة العربية السعودية، وكانت تلقب سابقاً (فيحان) وتسمى في الجاهلية (الذنائب)، المذانب وأتاها مسمى (المذنب) لكونها تقع في أذنان الأودية والشعاب، وهذا ما جعلها منطقة غنية التربة نتيجة جلب الأودية عناصر مهمة من مناطق بعيدة، كما أطلق عليها اسم بلاد النواصر نسبة لمؤسسيها وأمرائها النواصر من بني تميم. وتعد أكبر مدينة من حيث المساحة الخضراء في منطقة القصيم، كما تُعد مستقطب لهواة جمع الآثار لما تزخر صخورها بالكنوز المدفونة... ذكر لشيخنا الصبور المجاهد في طلب العلم علامة المذنب في وقته الشيخ الزاهد عبد الله بن دخيل..





عبد الله بن دخیل الناصري التميمي (١٣٦٠ - ١٣٢٤) هـ

تبقى سيرة الإمام العلامة عبد الله بن دخیل - رحمه الله تعالى - الذي وُلِدَ في المِجْمَعَة، وبعدها استقر به المقام حتى وفاته في المذنب حافلة بالدروس والعبر وجديرة بشحذ همم طلاب العلم ليحذوا حذوه، ونظراً لأنه توفي سنة ١٣٢٣هـ أو ١٣٢٤هـ وعمره قرابة ٦٣ أو ٦٤ سنة أي وسط أحداث جسام كان من أعظمها المعارك الدامية بين الملك عبد العزيز وابن رشيد قبل توحيد الإمام عبد العزيز لهذا الكيان العظيم .. فقد ابتلى ابتلاءات عظيمة نسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته ..





وقفُ طلبةِ العلمِ في المذنبِ

وفي مطلع عام ١٣١٣هـ نزل في ضيافة الشيخ عبد الله بن دخيل فضيلة العالم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، وكان متوجهاً لمدينة حائل فبقى في ضيافة الشيخ وصحبه حتى صباح اليوم التالي.. وكان أمير دولة قطر الشيخ المصلح قاسم بن ثاني قد فوضه بتحديد ومعاينة المواقع والحركات العلمية التي تحتاج منه إلى دعم، فيرسل له المبلغ الذي سيدفع قيمة للملك الذي سيوقفه، فلما رأى الشيخ عبد الله آل الشيخ كثرة الطلبة والدروس المكثفة أرسل للشيخ قاسم وأخبره بالقيمة الإجمالية للملك، فأرسل ابن ثاني قيمة الوقف المعروف بالحزم، وقد بعث معه قيمة الوقف عدداً من الكتب الدينية كُتِبَ عليها أوقف هذا الكتاب قاسم بن محمد بن ثاني وحُرم بيعه على يد الشيخ عبد الله ابن دخيل. رحمهم الله.

كما قام الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بشراء ملك أوقفه على الأخوان ووكل عليه الشيخ عبد الله بن دخيل.. أصبحت المذنب في وقته معقلاً من معاقل العلم تضرب





إليه أكباد الإبل وتشد إليه الرحال، فقدموا إليه من الوشم وسدير وحائل والحجاز وغيرها من البلدان.. ودرسوا على يديه القرآن والتفسير والتوحيد والحديث والفقه والفرائض وأصول الشريعة، حتى وأن بعض المشايخ وأمراء القبائل كانوا يزورونه ويستفيدون منه في حل بعض قضاياهم، وقد عمر الجامع بحلق الذكر والعلوم الدينية، وبنيت أول مدرسة أهلية في وقته وسارع الجميع من أهل الخير في دفع عجلة التعليم والإنفاق على طلبية العلم، وكثيرة هي النماذج التي تحتوي على وصايا المحسنين الذين أوقفوا على طلبية العلم جزءاً من أموالهم، مشاركةً منهم في دفع الحركة التعليمية وتأميناً لما يحتاجونه^(١).

وما زالت آثارهم موجودة إلى الآن شاهدها عندما زرت المذنب في عام ١٤٣٠هـ أطلعني إياها حفيده الأستاذ عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن دخيل عندما كنت في ضيافته مشكوراً.. وقد حدثني والذي رحمه الله محمد بن الشيخ فالح، أن الشيخ عبد الله بن دخيل رحمه الله كان من جملة طلابه نفرٌ من إخواننا الجن

(١) من ندوه للشيخ محمد العبودي.



عُصَارَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ



٣٨

يستمعون القرآن والذكر، طلبوا من الشيخ عبد الله تخصيص وقت لهم، فاعتذر الشيخ فقالوا: إن بعض الإنس آذونا بعصيتهم يرمونها ولا يشعرون بنا، فطلب ممن يحضر معه من الإنس وضع عصيتهم عند الباب ولم يعرفوا السبب إلا فيما بعد .. رحمهم الله.

شيخنا فالح كان من جملة الطلاب الذين وفدوا على هذا الشيخ الجليل.. ودرس وقرأ عليه سنين عددا، وذات مرة انفرد الشيخ عبد الله بتلميذه الشيخ فالح قائلاً: يا فالح إني رأيت فيك نهماً وطلباً للعلم وذكاءً متوقداً وصبراً وما عندي أصبح عنديك .. وأراك اليوم تشتعل حماسةً وتقدماً وأرى أن ترحل إلى الرياض وتأخذ العلم عن علمائها، فإني أرى فيك خيراً كثيراً أسأل الله أن ينفع بك ..





إلى الرياض

تقبّل شيخنا فالح نصيحة شيخه، فحزم زاده ومتاعه
القليل - وهو عبارة عن كتب ومحبرة وشيء من تمرات يقمن
صلبه - وأما الثياب فربما لا يملك إلا ثوبه الذي عليه ..
ولكأنّي أراه وهو يقبل رأس شيخه وزملائه مودعاً ..

دبت للمجد والساعون قد بلغوا
جُهد النفوس وألقوا دونه الأُزرا
وكابدوا المجد حتى ملّ أكثرهم
وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسبن المجد تمرّاً أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تَلْعَق الصَّبِراً
سار فالح رحمه الله على قدميه، مسافة تبلغ حوالي
ثمانية أيام بلياليهن.





الرياض

سار إلى الرياض التي تقع في وسط الجزيرة العربية.. وهي امتداد لمدينة حجر اليمامة التاريخية، التي يعود تاريخها إلى زمن قبيلتي طسم وجديس البائدة، وقد شيّدوا فيها حصوناً وقصوراً، روي أن بقاياها شوهدت في أول القرن الرابع الهجري، ثم استوطنت المكان قبائل عربية، وانتشرت في الوادي، تلك الأماكن ازدهرت في الجاهلية واتخذها العرب سوقاً يغدون إليه للبيع والشراء والشعر والأدب، ويقول ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان: إن اسم حجر يرجع إلى عبيد الحنفي حين احتجر ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة وسماها حجراً وكانت قبل تسمى اليمامة.

ومع ظهور الإسلام في الحجاز وانتشاره في الجزيرة العربية، وفدت القبائل من اليمامة إلى النبي ﷺ تبايعه بالإسلام، وأسلموا ثم ارتدوا بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام مع من ارتد من قبائل العرب، فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حتى أذعنوا ورجعوا للإسلام وثبتوا عليه، وكانت مدينة حجر في وقت الخلافة الراشدة قائدة لإقليم





اليمامة، ومع انتقال الخلافة الإسلامية خارج الجزيرة العربية وظهور أقاليم إسلامية غنية قل الاهتمام والعناية باليمامة ومدنها وقراها فاضطربت الأمور فيها .. وكثر خروج الدجالين والجهلة فيها نتيجة انتشار الجهل وظهور البدع فيها مما أثر على استقرارها ونموها وتطورها.

ومع العصر الحديث في القرن الثالث عشر الهجري برزت مدينة الرياض على ما تبقى من أطلال مدينة حجر وما حولها من قرى وأراض وبساتين.





الدرعية

وبالقرب من الرياض تقع مدينة الدرعية التي ناصر أميرها الأمير محمد بن سعود دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمها الله تعالى التي كانت مبادئها العودة إلى القرآن والسنة وعلى ما كان عليه رسول الله ﷺ ونبذ الشرك والبدع والخرافات المنتشرة آنذاك، ونهضت الدرعية وأقبل الناس عليها من كل صوب، ونشبت بين الدرعية والرياض خلافات وحروب لمدة ثمان وعشرين عاماً، حتى أذعن أميرها للدعوة، وأصبحت تابعة للدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى التي امتد نفوذها وسلطانها إلى معظم الجزيرة العربية وأطراف العراق والشام.

وفي عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م دُمّرت الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا ابن والي مصر محمد علي باشا الممثل للدولة العثمانية، لتنتهي بذلك الدولة السعودية الأولى، إلا أنّ الدولة العثمانية لم تتمكن من البقاء طويلاً في نجد بسبب استمرار الغارات ضد قواتها فانسحبت، واستعاد آل سعود الحكم على يد





الإمام تركي بن عبد الله ﷺ، الذي جعل من الرياض عاصمةً لدولته بعد دمار الدرعية وخرابها، فبنى فيها جامع المدينة وقصر الأمانة وسوراً محصناً، وبقيت منذ ذلك الحين عاصمة الدولة السعودية الثانية، ثم الدولة السعودية الحديثة المملكة العربية السعودية بعد أن دخلها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ﷺ في عام ١٣١٩ للهجرة، وانطلق منها لتوحيد وبناء المملكة العربية السعودية.





حركة الرياض العلمية في ذلك الوقت

في تلك الأثناء ازدهرت في الرياض حركة علمية قوية لعوامل كثيرة كونها العاصمة، ولتواجد أحفاد أئمة الدعوة فيها، وحولها تلك الدعوة المباركة التي تحمل عقيدة صافية، في ذلك الوقت الذي وصل فيه الشيخ فالح إلى الرياض، كان من أبرز علمائها الإمام العلامة: عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي، الذي ولد في مدينة الهفوف بالأحساء.. في عام ١٢٦٥هـ. ونشأ فيها عند جدّه لأُمّه الشيخ عبد الله بن محمد الوهبي، الذي أحسن تربيته واعتنى به و أدخله المدرسة فقرأ القرآن حتى حفظه وجوّد، ولما رأى جدّه إقباله على العلم حرص على تعليمه، فأقبل على العلم إقبالاً منقطع النظير حتى بلغ أربعة عشر عاماً، ثم زار والده في الأحساء، فرآه وما بلغه من علم وإدراك، فاصطحبه معه إلى الرياض، وهناك انقطع للتعلم على يد والده وعلماء الرياض ومن زارها في تلك السنوات، درّس العقيدة والفقّه في جامع الإمام تركي





ابن عبد الله بالرياض. و كان رأس العلماء في نجد، ومن تدور عليه رحى الفتوى، ولو جمعت فتاواه لجاءت في أسفار، وقد جمع عبد الرحمن بن قاسم بعضها في الدرر السنية.

عندما حكم الملك عبد العزيز رحمه الله الرياض في عام ١٣١٩هـ، كان الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف من أول من بايعه، وأزره، وصار جليسه ومستشاره، وزوجه الشيخ عبد الله ابنته التي صارت والدة الملك فيصل رحمه الله. كان رحمه الله مثالا للعالم الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر.. أتوه الطلاب من كل حدب وصوب ينهلون من علمه، وانتفع به كثيرون؛ ومن أبرز هؤلاء التلاميذ الذين لازموه وحبهم حبا جما وقربهم.. شيخنا الشيخ فالح رحمة الله عليه..

توفي الشيخ عبد الله يوم الجمعة الموافق للعشرين من شهر ربيع الأول من عام ١٣٣٩هـ عن عمر يناهز الخامسة والسبعين، وشيعه الملك عبد العزيز رحمه الله، ودفن في الرياض، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

قال عنه الشيخ عبد الله البسام: " الشيخ العلامة،





عُصَارَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

والحبر الفهامة، الإمام... فهو عالم ضليع، وعاقل راسخ، وجواد كريم، وحليم رحيم، وعريق أصل، وهذه مقومات الزعامة الدينية، ومؤهلات القيادة الشعبية .

وقال عنه الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ: " كان مهيباً وقوراً غيوراً على حرمت الإسلام والدين، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله جل وعلا لومة لائم، على سيما علماء السلف الصالح وسمتهم وما كانوا عليه من الهداية والدين، وإكرام العلماء والإخلاص، وصدق اللهجة، وحسن الخلق، والتواضع والعطف على الفقراء ومواساتهم ". وقال خير الدين الزركلي عنه: " فقيه خطيب.. كان مرجع النجديين في أمور دينهم، وشارك في سياستهم وحروبهم ".

هذه أبرز صفات أساتذة و مشايخ شيخنا فالح في الرياض الذي لازمه حيناً من الدهر..

ومن مشايخ شيخنا رحمه الله في الرياض الشيخ العلامة المحدث أبو عبد الرحمن إسحاق بن عبد الرحمن ابن حسن بن الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.. ولد الشيخ إسحاق في حوطة بني تميم عام ١٢٧٦هـ،





ونشأ بها نشأة صالحة في بيت علم وصلاح وتقوى، فأبوه هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، عالم نجد في زمانه وحفيد إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحم الله الجميع. وقد حظي بعناية تامة من والده، فلما ترعرع وبلغ سن التمييز أدخله والده الكتاتيب، فقرأ القرآن حتى ختمه ثم حفظه عن ظهر قلب، ثم شرع في حفظ بعض المختصرات في الحديث والفقه والتوحيد، ولازم والده وأقبل على التعلم حتى برع.

ويُعدّ الشيخ إسحاق من أوسع علماء زمانه طلباً للعلم وارتحالاً من أجله، حيث التمس العلم في مصر والهند والحرمين على جملة من كبار علماء ذلك الوقت، فقد شرع الشيخ في طلب العلم في سن مبكرة، حيث أخذ يقرأ على أخيه الشيخ عبداللطيف، والشيخ حمد بن عتيق، وابن أخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ الفقيه محمد بن محمود، والشيخ الخطيب الواعظ عبدالله بن حسين المخضوب، والشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد، فأدرك إدراكاً تاماً في العلوم الشرعية. فلما هاجت الفتن واستولى آل رشيد على الرياض، وارتحل آل سعود إلى الكويت، لم تطب له الإقامة في نجد، فرحل بعد وفاة والده إلى





عُصَارَةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

الهند عام ١٣٠٩هـ لطلب العلم، حيث مكث الشيخ في الهند أربع سنوات من عام ١٣٠٩هـ حتى نهاية عام ١٣١٢هـ، ثم رحل إلى مصر ودرس على كبار علماء الأزهر لمدة تزيد على السنتين، فصار من كبار علماء وقته في الأصول والفروع وعلوم العربية وسائر العلوم حتى نبغ في عصره وبرع في أغلب فنون العلم، فصار إماماً قدوة فاضلاً ورعاً حسن السمعة دائم البشر متواضعاً، وقد اجتمع أثناء إقامته بمصر بابن أخيه أحمد بن عبداللطيف، ورغبه في الخروج معه إلى نجد، ولكنه امتنع، ويذكر أن الشيخ أرسل من الهند إلى الرياض قصيدة مؤثرة صارت تنشد في الجامعات والبيوت في الرياض، يتذكر فيها عهده الخالية وبلاده المحكومة، ويترحم على أسلافه الماضيين جاء فيها:

سلامي على حجر الإمامة من نجد

وسكانه سكان قلبي ذوي ود

سلامي على أشياخهم وكهولهم

وفتيانهم حتى الطفيل على المهد

بوافر تسليم وأزكى تحية

وأسنا ثناء أرجه فاح كالند





تحية من شطت عن الألف داره

فأصبح يشكو بينه دائم الوجد

وفي بداية النصف الأخير من عام ١٣١٥هـ، غادر الشيخ الديار المصرية وعاد إلى الرياض، واستأنف التدريس والإفتاء فيها لمدة تزيد على أربع سنوات، حيث اشتغل بالتدريس والإفادة وقُصد من أطراف نجد للأخذ عنه، فنفخ الله به، وقد كانت عودة الشيخ في حكم آل رشيد، فجلس للتدريس وتصدى للإفتاء، ونفخ الله بعلمه. فكان من تلاميذه شيخنا الشيخ فالح رحمهم الله تعالى.. وقد تُرجم للشيخ إسحاق في كل الكتب المصنفة في تراجم علماء نجد، كما أن رسائله مبثوثة مشهورة في تراث علماء نجد كالدرر السنية ونحوها، حيث اهتم الشيخ بترسيخ العقيدة الصحيحة على منهج السلف الصالح علماء وعملاً، فكانت شاملةً لأغلب أبواب التوحيد...

توفي الشيخ إسحاق رحمته الله في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب عام ١٣١٩هـ، وازدحم الناس على نعشه وكان الجمع كبيراً، وتأسف الناس لفقده، وقد بكاه أهل العلم وأسفوا عليه، وراثه كثير من عارفي فضله..





عُصَاةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

ومن مشايخ شيخنا فالح الشيخ العلامة إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب من آل الشيخ... ولد في مدينة الرياض عام ١٢٨٠هـ، وبها نشأ، ثم أخذ مبادئ الكتابة وقراءة القرآن الكريم على والده الشيخ عبد اللطيف، ثم حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ثم شرع في طلب العلم، فأخذ يقرأ على أخيه الشيخ عبد الله، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ محمد بن محمود حتى مهر في التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصولهما والنحو. قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: برع في العلوم النقلية والعقلية، وكان آية في الفهم لم ير مثله في الذكاء والفتنه والحفظ. برز في كل فن حتى كاد يستوعب السنن والآثار حفظاً وفاق أهل عصره. وتصدى للإفتاء والإفادة، فله فتاوى محررة تدل على جودة فهمه وحسن تصوره، توفي في الرياض وهو على رأس عمله، وذلك في منتصف ليلة اليوم التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٣٢٩هـ وصار لموته رنة أسى عامة، حيث أصيب العلم بوفاته، لأنه من بقايا السلف الصالحين ..





كما أن الشيخ فالح رحمه الله يوم أن كان في الرياض درس على الشيخ العالم المحدث الفقيه سعد بن حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد القحطاني الحميضي الذي ولد في بلدة الحلوة إحدى قرى حوطة بني تميم عام ١٢٦٨هـ. كانت نشأته بيت دين وعلم وفضل، فقد كان أبوه العلامة حمد بن عتيق قاضي الأفلاج والحوطة، فرباه تربية علمية حسنة، وأخذ عن والده مبادئ العلوم، وقرأ عليه أمهات المتون، وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وجوّدته... أرسله والده إلى الرياض للاستزادة من علمائها، ثم رحل إلى الهند، فأخذ عن المحدث نذير حسين الدهلوي، وصديق حسن خان، وغيرهما، وبقي في الهند تسع سنين، استفاد فيها من العلماء هناك فائدة كبيرة، وحصل على إجازات علمية، ثم توجه إلى مكة المكرمة للحج، وجاور فيها مدة استفاد من علمائها، ثم عاد إلى بلده في عام ١٣١٠هـ. وقد جاوز الأربعين من عمره... درّس في الأفلاج وفي الرياض العقيدة والحديث والفقه والعربية، وكان حسن التدريس، التف حوله الطلاب من كل مكان ينهلون من علمه، كان رحمه الله من كبار العلماء





عُصَاةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

في نجد، قد جمع ابنه اسماعيل بن سعد بن عتيق عدداً من فتاواه وطبعها في عام ١٤٠٣هـ باسم (المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن حمد بن عتيق...) توفي في اليوم الثالث عشر من شهر جمادى الأولى من عام ١٣٤٩هـ عن عمر يناهز الحادية والثمانين، وصلى عليه الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، ودفن في الرياض، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

ومن ثناء المؤرخين عليه ما قاله محمد القاضي: " العالم الجليل الصادع بكلمة الحق، المحقق المدقق... كان قد أفنى عمره ما بين التعلم والتعليم ونفع الخلق، وكان حسن التعليم "

هذا العالم الجليل درس عليه شيخنا فالح ونهل من علمه.. لاحظ أخي القارئ أن أئمة الدعوة هؤلاء مع تميزهم بقوة العقيدة، يتميزون بالصبر والحكمة، وإنكار المنكر وأنهم لا يخافون في الله لومة لائم.. هذه الصفات تجسدت في شيخنا فالح رحمه الله ..





مسجد الجفرة

أعود إلى الرياض ثمة مسجد في ذلك الوقت يطلق عليه مسجد العليا (الجفرة)، ويقع في الجهة الشرقية من محلة صياح، وهو مسجد قديم لا يُعرف تاريخ بنائه على وجه التحديد .. أشهر الحلقات العلمية فيه هي حلقة الشيخ الجليل بعد المغرب الذي يُعد أفرض أهل زمانه هو الشيخ عبد الله بن راشد الجلعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .. الذي أصبح مرجع العلماء في الفرائض في وقته، يحيلون عليه أعمال المناسخات وقسمة الموارث وهو من قبيلة عنزه. ولد في القصب و جلس للطلبة وهو صغير فنفع الله به نفعا كبيرا .. شيخنا فالح التزم هذه الحلقة فأجاد وأفاد وأبدع رحمه الله تعالى ..

وبعد هذه السنين وهذا الجهاد والكفاح والصبر في طلب العلم، تكونت ملكة شيخنا فالح العلمية في العقيدة والتفسير واللغة والحديث والفقه والفرائض ..





إنها البداية وليست النهاية...

ليس عندي تحديد مدة زمنية لرحلة الشيخ العلمية تلك .. لكنني أقدرها حسب معطيات تواريخ ذلك الزمان بحوالي خمس وعشرين عاما .. نعم .. خمس وعشرون عاما قضاها في الطلب على علماء عصره .. ربع قرن من الجهد والحفظ والقراءة وتحقيق المسائل .. يا الله كم هم أولئك الذين يتساقطون في أول الطريق حتى مع توفر الماديات والتشجيع؟! يا الله كم هم أولئك الذين يفتنون؟! .. كم وكم؟! .. لكن أولئك الأعلام الأفاذا ومنهم هذا الشيخ المكافح أباي إلا الاستمرار على المنهج، رغم الصعوبات والفقر والجوع والبعد عن الوطن والأهل والخلان والولدان .. تأملت سر نجاح وصبر أولئك الأفاذا فوجدته يدور حول معينين كبيرين الإخلاص والصدق .. هاتان الصفتان وإن ادعاهما المدعون، لكن قلَّ أن توجد إلا ما شاء الله .. تأمل أخي القارئ سر النجاح هذا وستجد ما يسرك بإذن الله (وقل ربي زدني علما)





الزلفي من جديد ..

حزم شيخنا فالح أمتعته وعاد إلى مسقط رأسه .. إلى الزلفي .. عاد وقد أينع ثمره .. عاد وقد غرز العلم وحبُّه أطنابه فيه .. عاد بمخزون أمةٍ من الناس .. عاد موقناً أنه حان وقت العمل والتطبيق .. عاد بكم هائل من محبة العلماء وطلبة العلم له .. رحلة طلب العلم هي دأب العلماء بل والأنبياء قبلهم .. كما فعل موسى عليه السلام لما رحل إلى الخضر، قال الإمام البخاري في كتاب العلم، (باب: السفر في البحر لطلب العلم) ثم توج هذا الباب بقصة موسى عليه السلام؛ الرحالة المغامر، الذي ركب البحر ليلقى الخضر، ويستفيد منه علماً جماً .. عرف ذلك السلف الصالح في طلب العلم؛ فسهروا الليالي، لأن العلم بعد الهداية أشرف مطلوبٍ في الحياة ..

رحل جابر بن عبد الله رضي الله عنه الصحابي الجليل إلى مصر إلى مدينة العريش ليكتسب حديثاً واحداً من عبد الله ابن أنس رضي الله عنه. ورحل الإمام أحمد شهرين كاملين ليلاً ونهاراً من بغداد دار السلام إلى صنعاء اليمن ليأخذ عشرة أحاديث.



عُصَارَةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

٥٦

عاد فالح وإذ بشيخه عبد الرزاق ينتظره ..
يا ترى بم عاد الطالب؟! .. الطالب صار عالماً..
الشيخ أعد له مقعداً بجانبه .. وعاد وأصبح يلقي دروساً مع
شيخه في جامع البلدة، وخصص أياماً للقري المجاورة،
يذهب إليها في أوقاتها ماشياً على قدميه ..





طريقة الشيخ فالح في التدريس

بدأت مسيرة عطاء شيخنا فالح رحمته الله .. وبدأ بمساعدة شيخه المسن .. الذي لم يستطع إعطاء الدروس لكبره إلا في الصباح الباكر كما في الوثيقة التي أرسلها للإمام عبدالرحمن رحمهم الله، عندما طلب منه الشفاعة عند الملك عبد العزيز لإعادة فالح إلى الزلفي من الداهنة كما سيأتي ..

تولى الشيخ فالح جميع الدروس .. وله طريقتان في ذلك .. طريقة يسميها السابقون في ذلك الزمن (مجلس القراية) وهي أن يقرأ الطلاب كتاباً معيناً يدور عليهم بالترتيب والشيخ يعلق عليه تعليقات يسيره ويجب عن المشكل .. وهذه الطريقة استخدمها رحمه الله مع الكتب التالية: في التفسير: جامع البيان للطبري وتفسير ابن كثير ومعالم التنزيل للبعوي .. وفي التاريخ: البداية والنهاية لابن كثير رحمته الله .. وفي الوعظ والإيمانيات: مفتاح دار السعادة لابن القيم رحمة الله عليه.

وأما الطريقة الثانية فهي طريقة الشرح والتفصيل،





عُصَارَةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

بحيث يقف عند كل جملة ويبين مرادها، وما تدل عليه وما يستفاد منها، وهذه استخدمها مع المتون ووضع لها دروساً خاصة... ومن هذه الكتب التي شرحها في العقيدة: الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفي الفقه: الإقناع، والمقنع متن زاد المستقنع وشرحه، وفي الفرائض: متن الرحبية، وفي النحو: الآجرومية

حلقاته تستمر صباحاً وبعد الظهر، وبعد صلاة العصر بساعة تقريباً..

وهنا دعني أخي القارئ أسح دموعاً لا انقطاع لها حيث أن جُل هذه الشروح والتعليقات فقدت!! ولا أعزو ذلك إلا لشدة ضنك العيش والفقر ذلك الوقت حيث أغلب الناس، ومنهم أبناؤه رحمهم الله الذين كانوا عنده، كان همهم توفير لقمة العيش وسد رمق الجوع، والسبب الثاني كما يقول الوالد رحمة الله عليه أنه لما كبر سنه فرقها على كثير من طلابه، ومن يحضرون معه ولم يعتنى بها فيما بعد، والمسلم لا يعرف أين يكمن الخير؟!.





فالح والداهنة..

وجاء عام ١٣٢٨هـ فاعتذر شيخه عبد الرزاق عن القضاء لكبره وضعفه .. فتولى شيخنا من بعده رحمهما الله القضاء في الزلفي .. القاضي في ذلك الوقت هو المحكمة الجزئية وهو المحكمة العامة، بل هو مجلس القضاء الأعلى، و على النظام الجديد هو المحكمة الابتدائية ومحكمة الاستئناف ومجلس القضاء والمحكمة العليا ..

وفي عام ١٣٣٥هـ سافر رَحِمَهُ اللهُ إلى الرياض، للسلام على مشائخه وعلى الملك عبد العزيز ووالده الإمام عبدالرحمن رحمهم الله أجمعين .. وكان أعيان بلدة الداهنة قد طلبوا تعيين قاض عندهم ..

وبلدة الداهنة تعتبر قرية من قرى الحمادة، الواقعة في الوشم، حيث ذكر أمين الريحاني في كتابه (نجد وملحقاتها) أن الداهنة من هجر عتيبة، توجد في الحمادة. وأقرب ما يلي الداهنة من بلاد الوشم أشيقر في الجنوب الغربي .. يوجد في الداهنة بيوت الإخوان وما زالت بعضها ماثلة المعالم، كما يوجد الجامع القديم الذي بني





عُصَاةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

على إثر انتقال مجموعة كبيرة من مختلف القبائل مع بداية مرحلة التوطين إلى الهجرة وقد شهد هذا الجامع انطلاقة ألفين مقاتل بقيادة الشيخ عمر بن عبد الرحمن بن ربيعان وذلك للمشاركة في السبلة عام ١٣٤٧هـ .. كما يوجد بالدهنة صخرة راشد الخلاوي في وادي النظيم، وتوجد على هذه الصخرة كتابات ونقوش تاريخية كما توجد فيها عيون ومجارٍ للسيول خلافة ..

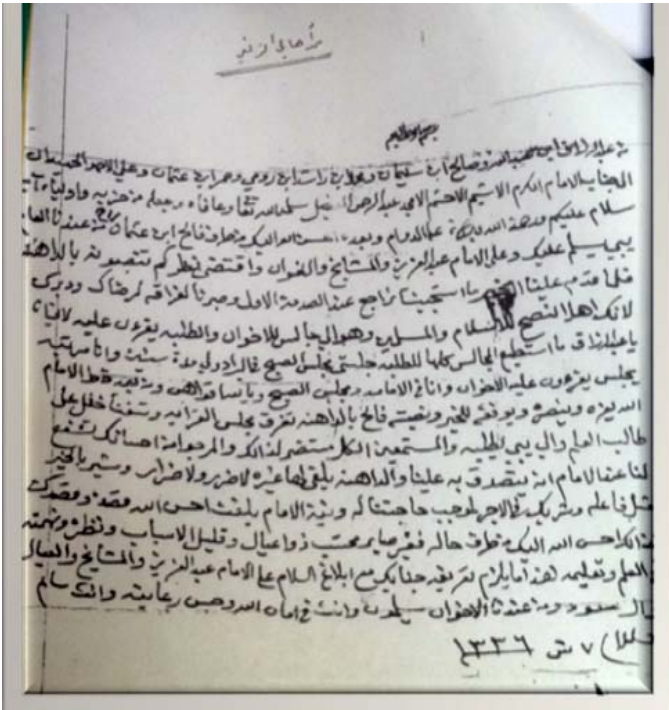
سافر شيخنا فالح رحمه الله تعالى إلى الدهنة .. وحصلت له هناك قصة طريفة فقد كان معه أحد أبناءه الصغار في ذلك الوقت وهو عثمان رحمة الله عليه .. كان صغير السن وقد شدّه الشوق إلى أهله !، فقال مخاطباً أباه : متى نعود إلى الزلفي؟! قال الشيخ: إذا انتهى العيش (البر - طعامهم الذي كان معهم-) وكان شوالاً يكفي لمدة عام تقريباً حملة معه الشيخ للبلدة، ليكون زاداً له ولمن معه وقت إقامته .. فما كان من الصغير عندما ذهب والده للصلاة إلا أن قام بتوزيع هذا الطعام كله، فلما عاد الوالد الشيخ إلى البيت قال الصغير: هيا نذهب (قضى) انتهى (العيش)!!!





عودة الشيخ إلى الزلفي

أحس أهل الزلفي بالفراغ الذي أحدثه لهم رحيل الشيخ فتصابروا .. وبعد .. فتشاوروا مع شيخه عبد الرزاق فخرجوا بقرار، وهو إرسال طلب وساطة الإمام عبد الرحمن عند ابنه الملك عبد العزيز رحمهم الله .. فأرسلوا هذا الخطاب.



عُصَارَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ



٦٢

نص الخطاب:

«من عبد الرزاق بن عبد الله، وصالح بن سليمان،
ومحمد بن راشد ابن رومي، وعمر بن عثمان، وعلي
الأحمد الحميدان، إلى جناب الإمام المكرم الأشيم
الأحشم الأجدد عبد الرحمن الفيصل سلمه الله وعافاه
وجعله من حزبه وأوليائه آمين..»

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام، وبعده
أحسن الله إليك من طرف فالح بن عثمان، راح من
عندنا العام يبي يسلم عليك وعلى الإمام عبد العزيز
والمشايخ والإخوان، واقتضى نظركم تنصيبونه بالداهنة،
فلما قدم علينا الخبر ما استحبيننا نراجع عند الصدمة
الأولى، وصبرنا لفراقه لرضاك ودبرك لأنك أهل النصح
للإسلام والمسلمين، وهو اللي جالس للإخوان والطلبة
يقرؤون عليه، لأنني أنا يا عبد الرزاق ما أستطيع المجالس
كلها للطلبة جلستي مجلس الصبح في البراد، ولي مدة
سنين وأنا مرتبه يجلس يقرن عليه الإخوان، وأنا في
الإمامه ومجلس الصبح ويا الله أقواهن، ومن بعد خط
الإمام الله يعزه وينصره ويوفقه للخير، ونصبته فالح





عودة الشيخ إلى الزلفي

بالداهنة، تفرق مجلس القراية وسببنا خلل على طالب العلم واللي يبي يطلبه والمستمعين، الكل مستضر، لذلك والمرجو من إحسانك تشفع لنا عند الإمام أن يتصدق به علينا، والداهنة يلقي لها غيره، لا ضرر ولا ضرار، ومشير بالخير مثل فاعله وشريك في الأجر، لموجب حاجتنا له ونية الإمام بلغت أحسن الله قصده وقصدك، كذلك أحسن الله إليك من طرف حاله فقير صابر محتسب ذو عيال وقليل الأسباب ونظره ونهمته في العلم وتعليمه، هذا ما يلزم تعريفه جنابك، مع إبلاغ السلام على الإمام عبدالعزيز والمشايخ والعيال وال سعود ومن عندنا الإخوان يسلمون عليك وأنت في أمان الله وحسن رعايته وأنت سالم والسلام ٧ش ١٣٣٦هـ..». اهـ.

فلما وصل الخط للإمام عبد الرحمن، شفع لأهل الزلفي عند الملك عبد العزيز رحمهم الله أجمعين، وأصدر الملك قرار بتعيينه في الزلفي .. ثم رجع شيخنا إلى مسقط رأسه ..

واستمر في التدريس والقضاء والإمامة والخطابة ..





من وسائل الثبات العبادة ..

إنك لتعجب من عبادة هذا العالم الصابر المحتسب .. كان له صوت ندي .. يتقن القرآن الكريم على رواية حفص عن عاصم .. أمّ الناس في الجامع سنين عدداً، يقرأ بهم القراءة النجدية السلسلة تلك القراءة المؤثرة بخشوع تام .. أو مثل ما يسمونه البعض ويحلوه لهم «مقام نجد .. وهي قراءة خاصة بأهل نجد بالمملكة العربية السعودية» يختم في كل أسبوع تقريباً مع تدريسه وأشغاله، وهذا في غير رمضان .. صاحب قيام ليل وربما هذا ما أعانه بعد الله على الحمل الثقيل، وهو سر صبره، إذ يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ۝١ قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِصْفَهُ ۝٣ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٤ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝٥﴾ إِنَّا سُنَّيْ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً ﴿٥﴾ [المُزَّمِّل: ١-٥].

فقوله: ﴿إِنَّا سُنَّيْ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً﴾ ﴿٥﴾ جاءت بعد أمره سبحانه بقيام الليل، مما دلّ للمتأمل أن القيام سبب بإذن الله لتحمل الحمل الثقيل والصبر، وقد كانت عادة أكثر الصحابة رضي الله عنهم ختم القرآن كل أسبوع مرة،





وبعضهم كل ثلاث ليال، وعلى ذلك جرى التابعون رحمهم الله تعالى والسلف الصالح من بعدهم، فهذا الأسود بن يزيد صاحب عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه يختم القرآن كل ست ليال، فإذا جاء رمضان ختم كل ليلتين، وكان قتادة المفسر التابعي يختم كل سبع ليال فإذا جاء رمضان ختم كل ثلاث، فإذا جاء العشر الأواخر ختم كل ليلة، وهذا أبو بكر بن عياش قد ختم القرآن ثماني عشرة ألف ختمة طيلة حياته وهو رقم يُتَعَجَّب منه، وصح عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنه ختم القرآن في رمضان ستين مرة، وكان الإمام ابن عساكر يحاول اللحاق بالشافعي في صنيعه هذا حتى أنه كان يعتكف في المنارة البيضاء في مسجد دمشق طيلة رمضان لكنه لم يستطع إلا أن يختمه ٥٩ مرة ! رحمهم الله تعالى ما أعظم همهم !!

قال الغزالي رحمته الله في كتابه إحياء علوم الدين:

والتفصيل في مقدار القراءة إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على





عُصْرَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

مرة، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة، لكثرة حاجته إلى كثرة التردد والتأمل. اهـ.

وهكذا كان شيخنا فالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يختم كل أسبوع وهو منشغل في العلم والتدريس والفتيا والقضاء وغيرها..

كان رحمه الله كثير التدبر والتأمل كثير الذكر محافظاً على أوراده.. عرف عنه الناس وقتين لورده في المسجد لا يجلسون عنده، الأول بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس وارتفاعها شيئاً يسيراً، والثاني قبل صلاة المغرب بنحو ساعة.. ولك أن تتصور عندما يكون عيشك مرتبطاً بذكر الله!

تأمل دعاء موسى عليه السلام في القرآن وسترى عجباً، قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نَسِيْحَكَ كَثِيْرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه: ٢٩-٣٤].. وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا صلى الغداة (الفجر) جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس». أخرجه مسلم.

وأخرج الترمذي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كان له كأجر حجة وعمرة تامة





تامة تامة» صححه الألباني ..

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يجلس بعد صلاة
الفجر إلى طلوع الشمس، فسُئِلَ عن ذلك لا يتركها أبداً؟
فقال: هذه غَدُوتي لو تركتها لخارت قواي.

قال ابن القيم في الوابل الصيب في ذكر طرفي النهار
- وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر
والغروب - وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥] فالإبكار أول النهار، والعشي
آخره، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، وهذا تفسير ما جاء في
الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي، أن
المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هذه
الأذكار بعد الصبح وبعد العصر. اهـ

نعم .. إن مثل حياة شيخنا فالح مدرسة .. مدرسة
حتى في سلوكه ... سَمَّهَا إن شئت مدرسة القدوة ..

ومن أعظم العبادة الإنفاق من ضيق وعسر .. إنه
الإيثار .. ذلك الخلق الذي لا يملكه إلا الكبار .. هذه
الصفة كانت متأصلة عنده رحمه الله .. قال الله تعالى في





عَصَاةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

سورة الحشر: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).. وسبب نزولها: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن: "ما معنا إلا الماء" فقال رسول الله ﷺ: "من يضم أو يضيف هذا" فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله. فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، واصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت وكأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: "ضحك الله"، أو "عجب من فعالكما"، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقْ شِحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩] أخرجه البخاري ..

نعم كانت هذه الصفة مغروسة في نفس الشيخ رحمه الله .. حتى إنه ذكر عنه أن البوادي حول الزلفي تتسامع عنه، ثم يقدمون عليه يطلبونه فيكرمهم ويعطيهم، مع أنه كان فقيراً ذا عيال .. ومن كرمه وسخائه رحمه الله أن حضرت مرة زوجة





جاره إلى زوجته أم عبدالله سارة الفايز رحمها الله، فبكت عندها بكاءً لا شعورياً.. فقالت زوجة الشيخ: مايبكيك؟! فأجابتها قائلة: نفسي بالحج والقافلة ستسير، وأبو فلان (زوجها) رفض أن أحج وأخشى الموت، رحمها الله حريصة على الفريضة مع فقرها وضمنك عيشها- أدع المقارنة مع نساء العصر للقارئ الكريم - فسكتت زوجة الشيخ، فلما عاد شيخنا إلى بيته، أخبرته أم عبد الله الخبر.. فذكر الله وأشخص يتأمل.. فلما صلى بالمسجد، استدعى جاره وقال يا فلان نريدك معنا في الحج أنت وأم فلان.. قال يا شيخ نفسي تتقطع، ولكن والله لا أملك عشائي الليلة!! فكيف سأحج؟ قال الشيخ: قد اشتريت لك ذلواً من مال عندي أمانة، وكتبته في ذمتي، لأنه لا يملك مالاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وزادك علي لكن نريدك معنا.. فانطلق الجار فرحاً، وبشر امرأته وحج وامراته مع الشيخ.. سبحان الله لما عاد الشيخ باع الذلول (الناقة) بضعفي قيمتها!!

هذا.. الصبر.. وهذا الكرم وهذا الإيثار من أعظم العبادات.. قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) رواه الترمذي.





من صفاته رحمه الله الحلم والحكمة

من أبرز ما اتصف به شيخنا رحمته حلمه وحكمته .. فقد كان حليماً مع المتخاصمين عنده، حكيماً في تعامله، ولذا دائماً ما يخرج الكل من عنده راضياً مقتنعاً بالحكم .. ولاشك أن هذه صفات عزيزة نادرة في القضاة ..

ذكر عن الرشيد أنه أحضر رجلاً يوليه القضاء فقال: يا أمير المؤمنين إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه. فقال الرشيد: فيك ثلاث خصال فيك شرف والشرف يمنع أهله من الدناءة، ولك حلم والحلم يمنعك من العجلة، ومن لم يعجل قل خطؤه، وأنت رجل تشاور فيأمرك ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقه به. فقبل الرجل و ولي القضاء فما وجد فيه مطعن ..

.. لقد كان شيخنا رحمه الله متأسياً بخير الخلق عليه السلام روي عنه عليه السلام - لما كسرت رباعيته، وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقاً شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم ! فقال: إني لم أبعث لعاناً، ولكني بعثت داعياً ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ..





ولما قال الرجل له ﷺ: اعدل، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، لم يزد في جوابه أن يبين له ما جهله. ووعظ نفسه، وذكرها بما قال له، فقال: ويحك! فمن يعدل إن لم أعدل! خبت، وخسرت إن لم أعدل! ونهى من أراد من أصحابه قتله. ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به، ورسول الله ﷺ منتبذ تحت شجرة، وحده قائلاً، والناس قائلون، في غزاة، فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلا وهو قائم، والسيف صلتا في يده، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله فسقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ، وقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ، فتركه، وعفا عنه. فجاء إلى قومه فقال: جئكم من عند خير الناس.

ومن عظيم خبره ﷺ في العفو عوفه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية.

ولم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره، وقد أعلم به، وأوحي إليه بشرح أمره، ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته، وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي، وأشباهه من المنافقين بعضهم ما نقل عنهم في جهته قولاً، وفعلاً، بل قال لمن





عُصَاةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

أشار بقتل بعضهم: لئلا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه.
وعن أنس رضي الله عنه: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه برد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد، احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك، ومال أبيك. فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: المال مال الله، وأنا عبده. ثم قال: ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي قال: لا. قال: لم؟ قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أمر أن يحمل له على بعيره شعير، وعلى الآخر تمر.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط، ما لم تكن حرمة من محارم الله. وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما ضرب خادماً قط، ولا امرأة. وجرى إليه برجل، فقيل: هذا أراد أن يقتلك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لن تراع، لن تراع، ولو أردت ذلك لم تسلط علي .

وجاء زيد بن سعة قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه، فجبذ ثوبه عن منكبه، وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم





قال: إنكم يا بني عبد المطلب، مطل، فانتهره عمر، وشد له في القول، والنبى ﷺ يبتسم. فقال رسول الله ﷺ: أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر، تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي. قال: لقد بقي من أجله ثلاث، وأمر عمر يقضيه ماله، ويزيده عشرين صاعاً لما روعه، فكان سبب إسلامه، ذلك أنه كان يقول: ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل إلا حلماً. فاخبرته بهذا، فوجدته كما وصف!

ألا يليق بعد هذا من كان النبي عليه الصلاة والسلام قدوته أن يكون حليماً على أهله وإخوانه وجيرانه ..

لربما أوقف أحدهم شيخنا ساعة في الشمس حال الصيف، يسترشد منه فيصبر عليه ويجيب .. ولربما طلبه أحدهم الحضور لإحدى القرى المجاورة لفض نزع فيسير معه على قدميه ويحل الخلاف ويعود ..

لقد كان شيخنا رحمه الله كان كريماً قدوةً في الصفح حتى أنه اشتهر عنه عفوه عن بعض من سب أحد أبناءه بقصيدة هزلية مع مجموعة من الناس!! فقال الشيخ: فأما



عُصَارَةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ



٧٤

حق ابني فعندي ومعفو ومسامح .. أما الآخرين فلا أملك
إلا معاقبتك أو يعفون!!! ..





فصل في شجاعته ونخوته رحمه الله

لقد كان رحمه الله تعالى محباً للملك عبد العزيز رحمه الله، قائماً له بالطاعة والولاء فُسئِلَ في ذلك فقال: لقد عاصرت وعرفت فلم أر حريصاً على نشر السنة والتوحيد مثل الملك عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أمن البلاد والعباد واستقامت الشريعة، وخدمت بسببه بعد الله كثير من الحروب والفتن .. وكان الملك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يبادل العلماء أمثاله التقدير والاحترام يسمع لهم ويأخذ بأقوالهم ..

لقد كان الشيخ رحمه الله مشاركاً في قرار الدولة في الأحداث العصبية التي مرت بها، وكان الملك عبد العزيز رحمه الله كثير المشاورة له ولأمثاله من العلماء، ولربما دعاه من الزلفي ليحضر مجالس الاستشارات والمؤتمرات، وذلك في مثل ما حصل، في أواخر عام ١٣٤٢هـ في مؤتمر الرياض، حضره علماء نجد، ورؤساء القبائل والقرى، وزعماء الإخوان. وكان محور المؤتمر شكوى الإخوان، من أن الشريف حسين منعهم من أداء فريضة الحج. وفي هذا المؤتمر، تحدث زعماء الإخوان، وفي





عَصَاةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

مقدمتهم سلطان بن بجاد المُلقب بسلطان الدين، وقالوا: إنهم كانوا على استعداد للذهاب إلى مكة، لأداء الفريضة، بالقوة إن استدعى الأمر ذلك. وطالب الإخوان الملك عبد العزيز بقيادتهم، لمواجهة الشريف حسين وجهاده. وبذلك حصل الملك عبد العزيز على فتوى شرعية، لشن الحرب على الشريف حسين، لضمان حرية أداء فريضة الحج. كما هو مدوّن في التاريخ..

ومن شجاعته رحمه الله عندما كبر سنه وفي أيام الحج في منى في يوم الجمعة ١٠ / ١٢ / ١٣٥٣ هـ، جاءهم صريخ من المسجد الحرام يخبر أن الملك عبد العزيز قُتل .. فما كان منه رحمه إلا حوّل واسترجع.. وصلى ودعا .. ثم جاء آخر وقال الناس يتداعون للجهاد.. وأصبح الناس في لغط فأمر بعض معه في تأمين النساء.. ومن ثم إرجاعهن إلى الزلفي في حال لو حصل مكروه لا قدر الله.. وأما هو وبعض من معه فسار إلى الحرم يطلب الخبر الصحيح، وإذا بها إشاعات طارت بها الركبان... والقصة كما يرويها بعضهم كالتالي: عندما باشر الملك عبد العزيز ﷺ الطواف مع الطائفين في المسجد الحرام،





وكان ابنه سعود رضي الله عنه وبعض الحراس يسرون خلفه، وعندما كان يريد البدء في الشوط الخامس، وبينما أراد أن يستلم الحجر الأسود، انطلق رجل من مكان قريب من حجر إسماعيل، وكان في يده خنجر وانطلق في اتجاه الملك عبد العزيز من الخلف يريد اغتياله، فقام الملك سعود ليحمي والده بظهره وأمسك بصاحب الخنجر باليد الأخرى وألقاه أرضاً.. ليلتقي مصيره الذي ينتظره على يد أحد حراس الملك فيرديه قتيلاً. وما هي إلا برهة يسيره حتى انقض رجل آخر، ولكن طعنته أصابت كتف الملك سعود الأيسر بينما كان يحمي ظهر والده، ثم انطلق رجل ثالث من ناحية الركن الأيمن، ولما رأى صاحبيه قد قتلوا ولى مدبراً، فأتته طلقة محكمة من أحد الجنود فطرحته ولكنها لم تقتله.

في هذه القصة لست أدري أتعجب من بر الولد بأبيه، بر الملك سعود بالملك عبد العزيز رحمهما الله، أم بمهارة أحد الجنود في الرمي تلك المهارة العجيبة، فهو الذي قتل المجرم الأول فلم يسدد الرمية له بشكل أفقي لأنه خشي أن تخترق رأسه فتصيب أحد الحجاج، ولكنه



عُصَارَةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

٧٨

قفز قفزة غير عادية فسدها عليه بشكل عمودي، أي أنه صبها عليه صبا. وأما المجرم الآخر فقتل على يد أحد حراس الملك سعود، وأما الثالث فلم يقتل، ولكنه أصيب في مقتل ومن خلاله تم التعرف على زميليه .. أم أتعجب من هذا الشيخ المسن الذي مضى سريعاً إلى مكان الحدث ليجيب النصره ويطلب الخبر .. ويُقال إن هؤلاء شرذمة من رافضة اليمن استخدموا من رافضة فارس ..

نعود إلى شيخنا الذي حمد الله كثيراً، عندما علم بالخبر وسلّم على الملك وابنه ودعا لهما، وقفل راجعاً إلى خيمته في منى مطمئناً الناس ..





مذهبه رحمه الله في الفتوى

منهجه رحمه الله تعالى في الفتوى في الفروع منهج علمائه، لا يفتي إلا بعد تحري الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كما تبين ذلك في رسالته لصديقه مهلل بن حمد الخالد رحمه الله وسأجعل لها فصلاً خاصاً بإذن الله تعالى.

حيث درس الفقه على المذهب مبتدئاً بالمقنع والزيد والعمدة، ثم الروايات في الكافي لابن قدامة، ثم المغني بعد المقارنة مع المذاهب الأخرى..

هذا والشيء بالشيء يُذكر.. قد حرَّرَ ابن القيم أصول المذهب الحنبلي الفقهية، فأسهبَ في بيان هذه الأصول تفصيلاً في كتابه "إعلام الموقعين"، واستدل لها استدلالاً واسعاً، وبيَّن أنها الطرق الفقهية الموصلة لمعرفة الأحكام الشرعية.. وهي أصول خمس، أجمل بعضها فيما يلي:

الأصل الأول: النصوص، فإذا وجد الإمام أحمد النص أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه، ولا مَنْ خالفه كائناً مَنْ كان. ولم يكن يُقدِّم على الحديث الصحيح





عُصَارَةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

عملا، ولا رأياً، ولا قياساً، ولا قولَ صاحب، ولا عدم علمه بالمخالف الذي يسميه كثير من الناس إجماعاً، ويُقدِّمونه على الحديث. وقد كذَّب أحمد من ادَّعى هذا الإجماع، ولم يُسْغِ تقديمه على الحديث الثابت.

الأصل الثاني: فتاوى الصحابة، فإن أحمد إذا وجد لبعضهم فتوى، لا يُعرف منهم مخالفتُ له فيها، لم يَعُدُّها إلى غيرها، ولم يَقُلْ إن ذلك إجماع. بل كان من ورعه في العبارة يقول: لا أعلم شيئاً يدفعه، أو نحو ذلك.

الأصل الثالث: إذا اختلفت الصحابة، تخيَّر من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم. فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال، حكى الخلاف فيها، ولم يجزم بقول.

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيءٌ يدفعه، وهو الذي رجَّحه على القياس. وليس المراد بالضعيف عنده الباطل، ولا المنكر، ولا ما في روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه، والعمل به. بل الحديث الضعيف عنده قسيمُ الصحيح، وقسم من أقسام الحسن.





الأصل الخامس: القياس. فإذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نص، ولا قول الصحابة، أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو ضعيف - عدل إلى الأصل الخامس، وهو القياس، فاستعمله للضرورة.

وعلى هذا البيان من ابن القيم لأصول مذهب أحمد، اعتمد اللاحقون، ومنها انطلق الدارسون لأصول المذهب شرحاً وبياناً وتفصيلاً وتطبيقاً، كابن بدران في مدخله عن المذهب الحنبلي، وأبو زهرة في كتابه عن "ابن حنبل" والشيخ عبد الله بن تركي في كتابه أصول مذهب الإمام أحمد.

وبالمناسبة يلحظ الدكتور محمود النجيري على بيان ابن القيم لهذه الأصول ما يلي:

١/ يُجمل ابن القيم في بعض أصول أحمد، ويُفصّل في بعضها، فيدمج في كلمة "النصوص": الأحاديث الصحيحة، وفي كلمة "القياس": المصالح المرسلة والاستصحاب، باعتبار أن ذلك من الرأي. ثم يقسم أقوال الصحابة قسمين، أحدهما ما لا خلاف فيها بينهم، والآخر المختلف فيه.





عُصَارَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

٢/ لم يذكر ابن القيم الإجماع تصريحًا في أصول أحمد. ووجه ذلك: أن الإجماع المعترف به عند الحنابلة هو إجماع الصحابة، أمّا إجماع مَنْ بعدهم، فكان أحمد يحتاط، ويعلم تلاميذه أن يقولوا: لا نعلم فيه خلافًا، فربما اختلف الناس وهو لا يدري. وهذا تدقيق علمي صارم من الإمام أحمد، وتسمية للأشياء بأسمائها، فما كان عدم علم بالمخالف، فإنه لا يعني علمًا بعدم المخالف، فعدم العلم ليس علما بالعدم. لذا لا يجوز أن يسمي هذا إجماعًا. أما إن اتفقت الأمة، وعلم أنه لم يخالف أحد، فإن هذا إجماع حقيقي، يأخذ به أحمد، ويعتد بحجيته. وقد اتبعه الحنابلة على ذلك؛ فهم يقولون بحجية الإجماع عمومًا، وإمكانه مطلقًا. والمسائل التي لا يُعلم فيها مخالف لما قاله بعض الصحابة، لا ينازعون في العمل بموجبها، ما لم تعارض بنصوص صحيحة قطعية تخالفها، ولكنهم يحتاطون، فلا يسمون ذلك إجماعًا، لاحتمال وجود المخالف.

٣/ قدّم الإمام أحمد فتوى الصحابة على الحديث المرسل والضعيف. والمتأخرون من الحنابلة- وخاصة ابن





تيمية، وابن القيم يُرَجِّحون الاحتجاج بقول الصحابي، ويرون أنه هو التحقيق في مذهب أحمد- رحمه الله. معذرةً أخي القارئ فقد أخذتنا أصول الإمام أحمد رحمه الله لتتعرف عليها، ولعل في ذلك فائدة ..

أعود إلى شيخنا رحمه الله الذي كان يسير على هذا المنهج، وإليك أخي جملةً من فتاواه رحمه الله:

- سئل رحمه الله عن رجل صلى خلف إمام تيقن أثناء الصلاة أن إمامه على غير طهارة، فأفتاه بالإعادة وقال قال رسول الله ﷺ إنما جعل الإمام ليؤتم به.
- وكان يفتي كما في الحديث أن صلاة الليل مثني مثني فإذا خشي أحدكم الصبح فليوتر..
- وكان رحمه الله يجيز ما يسمى بعشاء الوالدين، وهي: صدقة من طعام تخرج في آخر شعبان أو أول رمضان ويعتبرها صدقةً من الصدقات.
- وكان يرى رحمه الله أن على المتمتع سعي واحد في الحج، وممن ذهب إلى الاكتفاء بسعي واحد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد بين ذلك في مجموع



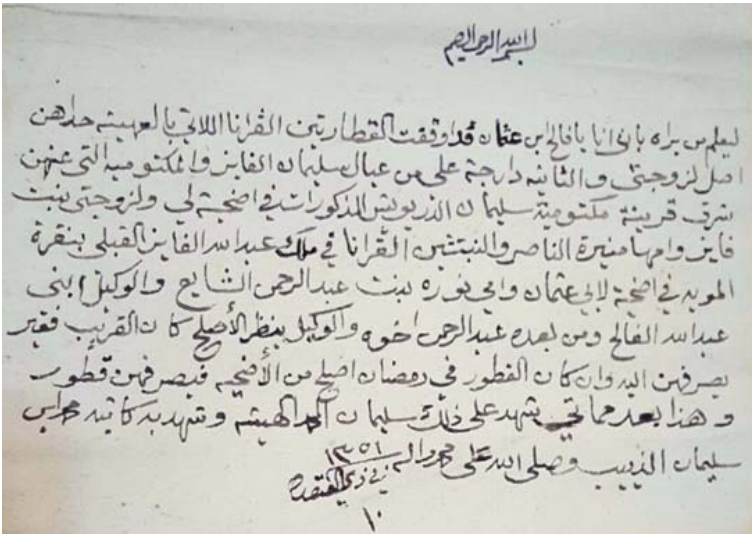


عَصَاةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

الفتاوى المجلد السادس والعشرون، و ذكر علل الأحاديث الواردة في السعيين للمتمتع بكلام نفيس على طريقة العلماء في نقد المتون وعدم الاكتفاء بظاهر الإسناد فقط.

• وكان رحمه الله يرى جواز الوقف المعلق بالموت، كما لو قال: هذه الأرض وقف بعد موتي. فإن الوقف يصح على الراجح من أقوال أهل العلم. قال ابن قدامة في المغني فأما إذا قال: هو وقف بعد موتي، فظاهر كلام الخرقى أنه يصح ويعتبر من الثلث كسائر الوصايا، وهو ظاهر كلام الإمام أحمد. اهـ.

وفيما يلي نص وصيته رحمه الله تعالى:





ليعلم من يراه بأني أنا يا فالح بن عثمان، قد أوقفت القطارتين (نخلتان من نوع القطار) القرانا اللاتي بالعهينة (موضع بالزلفي) إحداهن أصلن لزوجتي، والثانية دارجة علي من عيال سليمان الفايز، والمكتومية التي عنهن شرق قرينة مكتومية سليمان الدريوخ، المذكورات في أضحية لي ولزوجتي بنت فايز، وأمها منيرة الناصر، والنبنتين (نخلتان من نوع النبت) القرانا في ملك عبد الله الفايز القبلي (أي من جهة القبلة الغرب) بنقرة الموية (موضع بالزلفي)، في أضحية لأبي عثمان وأمي نورة بنت عبد الرحمن الشايح، والوكيل ابني عبد الله الفالح، ومن بعده عبد الرحمن أخوه، والوكيل بنظر الأصلح، إن كان القريب فقير يصرفهن إليه، وإن كان الفطور في رمضان أصلح من الأضحية فيصرفهن فطور، وهذا بعد مماتي .. شهد على ذلك سليمان المحمد الهيشه، وشهد به كاتبه محمد بن سليمان الذيب وصلى الله على محمد وآله. في ١٠/ ذي القعدة ١٣٥١هـ. اهـ.

فائدة أخرى من هذه الوصية: وهي صرف الوقف على القريب، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ





عَصْرَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

أَنْصَارِيٌّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَى، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِ يَلِيِّ بَيْرَحَى، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَدْ سَمِعْتُمَا قُلْتَ فِيهَا، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَفْرَيْنِ»، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. رواه مسلم.

وأيضاً قضية الإسهاد على الوقف: ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ، توفيت أمه وهو غائب عنها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أُمِّي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها شيء إن تصدقت به عنها قال: نعم. قال فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها. اهـ

قال ابن حجر في فتح الباري: قوله: (باب الإسهاد





في الوقف والصدقة) أورد فيه حديث ابن عباس المذكور آنفاً.. لقوله فيه: " أشهدك أن حائطي المخراف صدقة " وألحق المصنف الوقف بالصدقة، لكن في الاستدلال لذلك بقصة سعد نظراً، لأن قوله: " أشهدك " يحتمل إرادة الإشهاد المعتبر ويحتمل أن يكون معناه الإعلام، واستدل المهلب للإشهاد في الوقف بقوله تعالى: وأشهدوا إذا تباعتم. قال فإذا أمر بالإشهاد في البيع وله عوض، فلأن يشرع في الوقف الذي لا عوض له أولى. وقال ابن المنير: كأن البخاري أراد دفع التوهم عن يظن أن الوقف من أعمال البر في ندب إخفاؤه، فبين أنه يشرع إظهاره لأنه بصد أن ينازع فيه ولاسيما من الورثة. اهـ كلام ابن حجر رحمه الله.





منهجه رحمه الله في القضاء

لم يكن رحمه الله لديه مكتب وْحُجَّاب، بل كان يقضي في أي مكان يتيسر ولو على عتبة باب المسجد، هكذا كانوا يعيشون بكل بساطة بدون تكلف مع قوة الأحكام الصادرة ودقتها، يمثل الخصمان أمامه ثم يسمع من المدعي ثم يسمع جواب المدعى عليه، وعمدته في ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما "لو يُعْطَى الناس بدعواهم، لادعى رجال دماء قوم وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه" رواه مسلم وفي لفظ عند البيهقي: "البينة على المدعي واليمين على من أنكر" ..

طبعاً هو القاضي وهو محكمة التمييز أو الاستئناف، بل هو المحكمة العليا .. وله كتاب وأعوان متعاونون، وممن أعرف من كتّابه ولدي عدد من الوثائق بخطه .. الشيخ الفاضل محمد بن سليمان الذيب، ولد عام (١٣٢٠هـ) في الزلفي، ويعد أول مدير مدرسة فيها، تولى القضاء في راس تنورة، وهو من كتّاب الزلفي المشهورين في تلك الفترة ومعروف بصلاحه وتقواه، وكان يخدم





الأهالي بكل ما يحتاجونه من الكتابة والرسائل، واشتهر كذلك بالرقية، توفي عام (١٣٧٨هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

ومن معاوني الشيخ رحمه الله الذين سطرهم التاريخ، الشيخ الزاهد الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر عبد الكريم بن عبد القوي الخراساني. الملقب بالدرويش، المولود عام (١٢٤٥هـ)، والمتوفى عام (١٣٣٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ.

وأما طريقته - أعني الشيخ فالح رحمه الله - في كتابة الصكوك والإثباتات، فهي سلسلة ميسرة مفيدة ليس فيها تعقيد وزيادة حشو من الكلام، سأعرض عن ذكر ما فيها من أسماء.. لكن سأذكر نماذج فقط بدون أسماء.





أَمْوِج صُكِّ إِثْبَاتِ شَهَادَةِ

حضر عندي فلان وفلان، وقرّرا بلفظ الشهادة: بأنهما يومَ أن حجّا معا في عام ١٣٤٦هـ ودّعوا ذلول (أي جعلوا ناقة أمانة) مع فلان ليما يرجعون (إلى أن يرجعوا)، فلما رجعنا قافلين مرينا نبي (نريد) الناقة، ويوم جينا لقينا (وجدنا) فلان وسأله فلان عن ناقته، فقالوا أعمامه فلان وفلان: فلان طرش (ذهب) والناقة معه، هذا ما شهد به الشاهدان المذكوران، كتب شهادتهما عن أمرهما محمد بن سليمان الذيب، وشهد شاهد بمثل ما شهدا به من غير زيادة ولا نقصان، وزاد فلان بأنّه دخل بلدة فلان مع فلان، وحضروا بقهوة (بمجلس) أميرهم، وسألهم فلان وقالوا كلام ما وافقوا، وقال رجل منهم ما تكلمون بكلمة الحق .. كتبه من كتبه أعلاه في ذي القعدة ١٣٤٧هـ.





أ نموذج صك قبض

حضر عندي فلان، وأقر بأنه قبض من فلان سبعة
 أرييل (ريالات) إلا قرش سنة ١٣٤٥هـ، وثلاثة ١٣٤٩هـ،
 وهنّ ربع ثلث جدّه فلان بالأسياح، مرسلهن فلان وشهد
 على ذلك كاتبه محمد البراهيم المعتقد وصلى الله وسلم
 على نبينا محمد ٩ شعبان ١٣٤٩هـ.





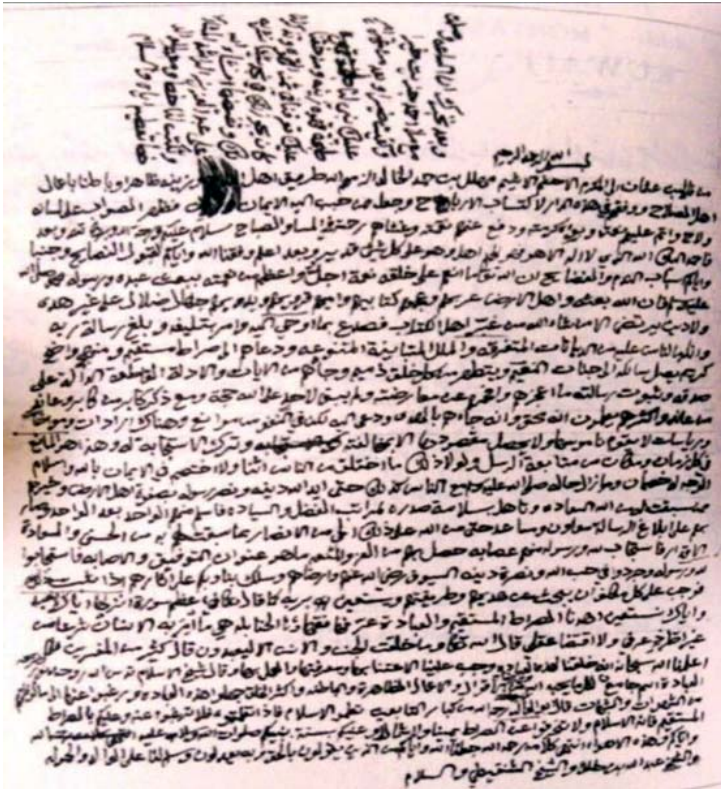
فصلٌ في رسائله و مناصحاته ودعوته

كان رحمه الله كثير النصح والدعوة إلى الخير، حتى كان يسير للقرى المجاورة ينشر الخير بين الناس، ويفتي و يناصح ويقضي في الخصومات، وله رسائل يبعثها لأنحاء العالم الإسلامي يشرح فيها التوحيد، ويسأل عن أحوال المسلمين. ويتابع إصدارات المجلات العلمية والمؤلفات والمدارس على صعوبة الاتصال في ذلك الوقت، وشدة المؤونة وقلة ذات اليد والفقر المدقع أحياناً..

ومن تلك الرسائل و المناصحات رسالته رحمه الله تعالى إلى صاحبه مهلل الخالد رحمه الله تعالى في الكويت عام ١٣٣١هـ تقريباً، وفيما يلي نصها:



فصلٌ في رسائله و مناقحاته ودعوته



من فالح بن عثمان إلى المكرم الأحشم الأشيم:
مهلل بن حمد الخالد، أزمهم الله طريق أهل (الإيمان)
وزينه ظاهراً وباطناً، بأعمال أهل الصلاح، ووقفهم في
هذه الدار لاكتساب الأرباح، (وجعلهم) ممن حُب إليهم
الإيمان، فظهر الصواب على لسانه ولاج، وأتم عليهم
نعمته وغشاهم في رحمته في المساء والصبح.





عُصَارَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فأحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو فهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير وبعد .. اعلم وفقنا الله وإياكم لقبول النصائح وجنبنا وإياكم أسباب الندم والفضائح، أن الله تعالى ما أنعم على خلقه نعمة أجل وأعظم، من نعمته ببعثة عبده ورسوله محمد ﷺ؛ فإن الله بعثه وأهل الأرض، عربهم وعجمهم، كتابيهم وأميهم، قرويهم وبدويهم، جهال ضلال، على غير هدي ولا دين يرتضى، إلا من شاء الله من غير أهل الكتاب.

فصدع بما أوحى إليه وأمر بتبليغه، وبلغ رسالة ربه، وأنكر ما الناس عليه من الديانات المتفرقة، والممل المتباينة المتنوعة، ودعاهم إلى صراط مستقيم، ومنهج واضح كريم، يصل سالكه إلى جنات النعيم، ويتطهر من كل خلق ذميم.

وجاءهم من الآيات والأدلة القاطعة، الدالة على صدق وثبوت رسالته ما أعجزهم وأفحمهم عن معارضته، ولم يبق لأحد على الله حجة؛ ومع ذلك كابر من كابر، وعاند من عاند، وأكثرهم يعلمون أنهم حق، وأنه جاءهم





بالهدى ودعا إليه، لكن في النفوس موانع، وهناك إرادات، ومؤاخاة ورياسات، لا يقوم ناموسها، ولا يحصل مقصودها، إلا بمخالفته وترك الاستجابة لهو موافقته؛ وهذا هو المانع في كل زمان ومكان، من متابعة الرسل، وتقديم ماجاؤوا به، ولولا ذلك ما اختلف من الناس اثنان، ولا اختصم في الإيمان بالله و إسلام الوجه له خصمان.

وما زال حاله ﷺ مع الناس كذلك، حتى أيد الله دينه ونصر رسوله، بصفوة أهل الأرض وخيرهم، ممن سبقت له من الله السعادة، وتأهل بسلامة صدره لمراتب الفضل والسيادة؛ فأسلم منهم الواحد بعد الواحد، وصار بهم على إيلاغ الرسالة معاون ومساعد، حتى من الله على ذلك الحي من الأنصار، بما سبقت لهم به من الحسنى والسيادة الأقدار. فاستجاب لله ورسوله منهم عصابة حصل بهم من العز والمنعة، ما هو عنوان التوفيق والإصابة. فاستجابوا لله ورسوله، وجردوا في حب الله ورسوله ونصرة دينه السيوف رضي الله عنهم وأرضاهم وسلك بنا وبهم على آثارهم، إذا ثبت ذلك فوجب على كل مكلف أن يبحث





عُصَارَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

عن هديهم وطريقتهم، ويستعين بربه كما قال في أعظم سورة أنزلها: "إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم" والعبادة كما عرفها فقهاؤنا الحنابلة رحمهم الله: هي ما أمر به الإنسان شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦]، قال كثير من المفسرين: أعلمنا الله سبحانه أنه خلقنا لهذه العبادة (وأوجب) علينا الاعتناء بها ومعرفتها والعمل بها، قال شيخ الإسلام قدس الله روحه ونور ضريحه: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وأكثر الخلق جهلوا هذه العبادة، ورغبوا عنها إلى مألوفهم من الشهوات والشبهات. قال أبو العالية رحمه الله- من كبار التابعين-: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه، وإياكم وهذه الأهواء.. انتهى كلامه ﷺ. جعلنا الله وإياكم من الذين يقولون بالحق وبه يعدلون. وسلّم لي الوالد والحمولة والشيخ عبد الله بن خلف





والشيخ الشنقيطي والسلام . . . انتهت الرسالة .

لقد حوت هذه الرسالة على فوائد جمّة في أمور الاعتقاد لست بصدد شرحها^(١)، لكن هناك أمر مهم فيها إذ فيها إلماحة قوية ورد على من ادعى أن أئمة الدعوة النجدية ومنهم شيخنا، على غير مذهب السلف وأنهم لا يبجلون و لا يعظمون النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، والحقيقة كما تثبت مثل هذه الرسائل والكتب أنهم ينهجون مذهب أهل السنة والعقيدة السلفية الصافية من تبجيل النبي ﷺ، ومحبة صحابته رضي الله عنهم، والذود عنهم والسير على منهجهم، وما كانوا عليه من الدفاع عن دين الله تعالى والدعوة إليه كما أمر الله تعالى، و مما يُلفت أني وجدت جزء من هذه الرسالة مدونة في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية تحت عنوان "رسالة في الرد على صاحب جريدة القبلة لأحد علماء نجد" رسالة في الرد على صاحب جريدة القبلة التي كانت لسان الحسين بن علي بمكة المكرمة فيما افتراه على أهل نجد من تنقيص الرسول ﷺ وغير ذلك من

(١) قد تناولتها بالتحقيق والشرح في دراسة مستقلة بحمد الله، أسأل الله أن ترى النور قريباً بإذن الله .





عُصَارَةُ الشَّهَدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

الفرى والضلال.. ولست أعلم هل هي للشيخ فالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أم لا؟ لكن جزء آخر من هذه الرسالة وجدتها من رسالة للشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الإمام فيصل بن تركي رحمهم الله تعالى كما في الدرر السنية، مما يدل على أن الشيخ رحمه الله استفادها منه حيث أن الشيخ عبد اللطيف قبله وسنة كتابته للرسالة كان الشيخ فالح صغيراً رحمهم الله أجمعين.

لفت نظري أيضاً في الرسالة وجود العلامة الشنقيطي رحمه الله، وواضح أن بينهما علاقة طيبة حيث أوصاه بالسلام عليه. فمن هو الشيخ الشنقيطي هذا؟

هو الشيخ محمد أمين بن عدي بن فال الخير الحسني الشنقيطي.

ولد في العقل (بمنطقة الترازة - جنوبي غرب موريتانيا)، وتوفي في مدينة الزبير (العراق)، عاش في موريتانيا والسعودية والبحرين والهند والكويت والعراق، حفظ القرآن الكريم صغيراً، أتقن علوم اللغة والفقه والسيرة والعقيدة، زار مصر و المدينة المنورة..

كان عالماً ومعلماً ومصلحاً، شارك في المقاومة





فصلٌ في رسائله و مناصحاته ودعوته

العراقية للاستعمار الإنجليزي (١٩١٥م)، وكان له دور دعوي وعلمي في مختلف بلدان الخليج العربي، توفي بالعراق بعد مسيرة حافلة رحمة الله عام ١٣٥١هـ.

أعود للشيخ فالح رحمته الله فلم تكن دعوته في محيط بلده أو منطقتة فقط! بل كانت له مساهمة في أنحاء العالم الإسلامي ومتابعة لأحوال المسلمين، حيث كان يتابع ما ينشر في وقته من علوم ومعارف ومجلات كمجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى. ولذلك كان يُطلب لحضور المؤتمرات في الرياض كثيراً كما سبق بيان ذلك.





هل خَرَجَ الشَّيْخُ فَالِحٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طَلَّاباً؟

درس على يديه عدد غير قليل من طلاب العلم، منهم على سبيل المثال :

الشيخ : محمد بن سليمان الذيب رحمه الله تعالى، وقد سبق الحديث عنه.

الشيخ : موسى بن عمر العمير السيف، ولد عام (١٣٣٣هـ)، شيخ زاهدٌ عابدٌ ورعٌ، اعتذر عن القضاء تورعاً عمل بالتدريس، ثم بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم مديراً لمدرسة دار الحديث في المدينة النبوية، ثم رجع إلى الزلفي وتوفي بها عام (١٣٩٦هـ) رحمه الله تعالى.

الشيخ حمدان الباتل. شيخٌ مقرئٌ حافظ متقن، ولد في الزلفي عام (١٣١٥هـ)، قيل : فقد بصره وهو صغير، وكان يقطع المسافة من بلدته إلى درس الشيخ فالِح سيراً على الأقدام، ودرس أيضاً على الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمهم الله أجمعين. عُدَّ في وقته مفتياً



للزلفي، وتولى إمامة الجامع الجنوبي، توفي سنة ١٣٨٥هـ
رحمه الله تعالى.

الشيخ : محمد بن عبد العزيز بن منيع .. شيخ ورع
تقي، تولى إمامة جامع المنيع بالزلفي، توفي عام ١٣٦٦هـ
رحمه الله تعالى.

الشيخ : صالح العلي الصالح.

الشيخ : عبدا لمحسن العلي الصالح.

الشيخ : إبراهيم بن عبد الله الطريقي.

الشيخ : عبد الله الغيث.

الشيخ علي الحميدان.

الشيخ ابراهيم بن سليمان الدرويش.

الشيخ فالح بن محمد الرومي.

الشيخ محمد العمر.

والشيخ عبدالله الراشد الصغير رحمهم الله تعالى
أمواتاً وأحياءً.

ومن طلابه أبناؤه عبد الله وعثمان وعبد الرحمن





عُصَاةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

وعبدالعزيز و محمد وقاسم، وبناته لولوه ونوره وزينب ومنيرة رحمهم الله جميعاً... ختموا القرآن، وتميّزوا بالثقافة الشرعية العامة.. واشتهروا بالكرم وحب الخير..

خاصة العم الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن فالح، اختلف في ميلاده، شبّ وترعرع على يد والده الشيخ فالح رحمهما الله وحفظ القرآن ودرس مبادئ العلوم عليه، ثم انتقل في عام ١٣٥٢هـ. إلى الرياض ودرس على علمائها، وتنقل بين مناصب شرعية حكومية، كان شهماً كريماً قارئاً نهماً رحمه الله، هو من افتتح أول مدرسة ابتدائية في مدينة الزلفي، وخرّج أجيالاً من المربين وطلاب العلم، توفي رحمه الله في عام ١٤٣٥هـ في الخامس عشر من شهر شعبان.

ومن تلاميذه وأحبهم إلى قلبه، وإلى قلب كاتب هذه الأحرف، ابنه سيدي الشيخ الوالد محمد بن فالح بن عثمان راوي جملةً من هذه الذكريات، ولد عام ١٣٤٣هـ، أدركه صغيراً وحضر حلقاته ونقل شيئاً من أخباره وآثاره، وهي التي اعتمدت بعد الله عليها في كتابة هذه الرواية، مع الرجوع لبعض المصادر والكتابات من هنا وهناك





للتوثق والتأكد، سافر الوالد إلى الرياض عام ١٣٥٥ هـ بطلب من والده لطلب العلم هناك، فقرأ القرآن على الشيخ ابن سنان رحمه الله، ثم درس الأصول الثلاثة، وكتاب التوحيد وشيء من الفقه والفرائض على علماء ال الشيخ في الرياض، ثم عاد إلى الزلفي بعد سماع خبر وفاة والده، فتأثر كثيراً وانقطع عن العلم إلا عن حضور بعض الحلق والمجالس العلمية، وقراءة بعض الكتب العامة، واشتغل في توفير العيش لأسرته حيث مرّت به أوقات عصيبة لا يجد فيها قوت يومه، فصبر واحتسب، ثم بعد شدة عشر سنوات تقريباً سافر إلى الكويت فعمل في البناء، ثم عاد وعمل في الحسبة في المنطقة الشرقية في الفترة ما بين ١٣٧٠هـ و ١٣٧٤هـ تقريباً، ثم رجع وعمل في دار الأيتام بالزلفي في عام ١٣٧٨هـ تقريباً، ثم اتّجر بين الرياض والكويت والحجاز. حتى انقطع بين البيت والمسجد سنوات طويلة على فترات متقطعة بين الزلفي والرياض .. وقد شهدته رحمه الله قبل مرضه الذي توفي فيه يختم القرآن كل خمسة أيام .. لا يؤذن المؤذن إلا وهو في المسجد .. صاحب طول قيام من الليل .. محباً



عُصَارَةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

١٠٤

للعلم والعلماء .. شديد الغيرة على محارم الله .. حازماً ..
شديد الإنكار على الفساق .. وجيلها كريماً ينفق نفقة من
لا يخشى الفقر .. مريباً فاضلاً كثير الحمد والثناء على الله
تعالى حتى في مرضه الذي توفي فيه لم يُسمع منه كلمة
تسخط. توفي رحمه الله عصر يوم السبت وصلّي عليه بعد
صلاة الظهر يوم الأحد الثاني من شهر شعبان عام
١٤٢٩هـ، في جامع الراجحي بالرياض وصلّي عليه جمع
من المحبين كبير جزاهم الله خيراً.

فاللهم فاضت العين بالدمع وأنت أرحم الراحمين
وأكرم الأكرمين، رحمتك وسعت كل شيء، وجودك لا
يضاهيه جود، أسبغ عليه سحائب مغفرتك يا غفور،
واجعله في أعلى عليين وكفر عنه سيئاته وارفع درجاته،
واجعل قبره روضة من رياض الجنة واجمعنا به ومن نحب
في جناتك جنات النعيم يا رحمن الدنيا والآخرة و
رحيمهما.





مرض الشيخ فالح ووفاته رحمته الله

وبعد فأعود إلى شيخنا فالح رحمه الله ففي عام ١٣٥٦هـ أرسل إلى الملك عبد العزيز رحمه الله رسالة يطلبه فيها أن يعفيه من القضاء حيث وهن العظم واشتد المرض وهكذا دأب المخلصين .. ولازال المرض به حتى بدأ بالنسيان ففرق كتبه على بعض طلابه، والعجيب أنه لم ينس القرآن الكريم حتى وفاته رحمه الله وهذا مصداق قول عكرمة رحمه الله "من جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر" فصبر واحتسب حتى توفي في آخر عام ١٣٥٩هـ، وقد ذكر الشيخ ابن بسام رحمه الله في ترجمته أنه توفي في عام ١٣٥٦هـ، ولكن هذا غير دقيق حيث ذكر الوالد رحمه الله عام وفاته ١٣٥٩هـ وقد وجدت بعض الوثائق تثبت حياته إلى ذلكم العام... رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به في دار كرامته وبارك في ذريته وعقبه آمين آمين ..

تلك عصارة ذكريات مجالس سيدي الوالد رحمه الله تعالى فما كان من صواب فمن الله وحده، ومن كان من



عُصَارَةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ

١٠٦

خطأ أو زيادة أو نقصان فمن نفسي والشيطان، والله المستعان. كان الفراغ من كتابتها في مساء يوم مبارك مطير جميل، قبيل المغرب الأثنين السابع عشر من شهر جمادى الأولى عام ١٤٣٣هـ .. ثم التدقيق والمراجعة ليلة السبت الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني عام ١٤٣٨هـ.

و ختاماً أخي القارئ أتمنى أن تكون هذه الرواية أضافت لك شيئاً من الفائدة وأن يغفر الله لجميع من وردت أسماءهم فيها، كما أنني ممتن جداً لكل قريب أو صديق أو كاتب أو باحث أمدني بمعلومة أو نقلت عنه فائدة أشرت إليه أو لم أشر، فله مني الشكر بعد شكر الله تعالى وله مني الدعاء بالتوفيق والسداد، وكم أسعد بملاحظاتك واقتراحاتك على البريد الإلكتروني :

salsoger@gmail.com

أخوك أبو محمد

صغير بن محمد بن فالح الصغير





الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	تقديم
٩	حديث الذكريات!!
١٠	اخرج إني لك من الناصحين
١٢	الزلفي بلد القرار
١٤	مالك بن الريب وسمنان الزلفي
١٦	الزواج سكن ومودة وذرية
١٧	ذرية محمد
١٨	الباقيات الصالحات
١٩	إنه فالح بن عثمان
٢٠	سبيع الأصل والنخوة والشهامة
٢٢	آخر العنقود طيب الثمرة.. ولادة فالح
٢٣	تقديس الفلاحة!!؟
٢٥	نشأة فالح
٢٦	عبد الرزاق المطوع رحمه الله
٢٩	فالح في بريدة
٣٠	فالح و علماء بريدة آل سليم



عُصَاةُ الشَّهْدِ فِي ذِكْرِيَاتِ الْوَالِدِ عَنِ الْجَدِّ



١٠٨

- ٣٣ الشيخ فالح في المذنب ..
- ٣٤ المذنب ..
- ٣٥ عبد الله بن دخيّل الناصري التميمي (١٢٦٠ - ١٣٢٤) هـ
- ٣٦ وقفُ طلبَةِ العلمِ في المذنب ..
- ٣٩ إلى الرياض ..
- ٤٠ الرياض ..
- ٤٢ الدرعية ..
- ٤٤ حركة الرياض العلمية في ذلك الوقت ..
- ٥٣ مسجد الجفرة ..
- ٥٤ إنها البداية وليست النهاية ..
- ٥٥ الزلفي من جديد ..
- ٥٧ طريقة الشيخ فالح في التدريس ..
- ٥٩ فالح والداهنة ..
- ٦١ عودة الشيخ إلى الزلفي ..
- ٦٤ من وسائل الثبات العبادة ..
- ٧٠ من صفاته رحمه الله الحلم والحكمة ..
- ٧٥ فصل في شجاعته ونخوته رحمه الله ..
- ٧٩ مذهبه رحمه الله في الفتوى ..
- ٨٨ منهجه رحمه الله في القضاء ..





- ٩٠ أنموذج صك إثبات شهادة
- ٩١ أنموذج صك قبض
- ٩٢ فصلٌ في رسائله و مناصحاته ودعوته
- ١٠٠ هل خرّج الشيخ فالح رحمه الله طلاباً؟
- ١٠٥ مرض الشيخ فالح ووفاته رحمه الله
- ١٠٧ الفهرس



هذا الكتاب منشور في





هناك في صحراء نجد وسط الجزيرة العربية في
القرن الماضي..

تتحدث الذكريات عن عالم قضى جل حياته بين
العلم والتحصيل والدعوة والتدريس والقضاء،
متنقلاً بين أرجائها رغم الصعوبات وشدة المؤونة
وضنك العيش. وصدق أبو حنيفة رحمه الله
حينما قال: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب
إلي من الفقه لأنها آداب القوم..